رسالة

في بيان كفر من اعتقد أن غير الله من السحرة قادر على قلب الأعيان أو مسخ إنسان وتغيير خلقته

عبدالرحيم بن محمد الإبراهيم الخليل

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وبه أستعين ، والصلاة والسلام على إمام المرسلين .

قال الله تعالى **" ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين "**
وقال تعالى **" إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون "**

لنا أن نقف عند هذه الآيات ، وغيرها من نصوص القرآن ، وما تضمنته من الحقائق من تقرير أفعال الربوبية ، التي جُبلت عليها الفطر ، ورسخت بها العقول .

قال سبحانه **" ألا له الخلق والأمر "**
ومن صور هذا (الأمر) الذي اختصه الله تعالى لنفسه ما ذكر بقوله **" إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون "**

فقوله **" كن "** من جملة الأمور المتعلقة بأمره وخلقه .
قال الله تعالى لأصحاب السبت **" كونوا قردة خاسئين "**

فقوله تعالى **" كونوا "** هذا أمره سبحانه الذي هو **" كن فيكون "**
فمن نسبه لمخلوق : فقد نسب الربوبية لغير الله جل وعلا . عَلِم ، أم جهل .

فأمر تغيير الخلقة ، وقلب الأعيان : من خصائص الرب جل وعلا الواحد الديّان .

فمن اعتقد أن غير الله من السحرة قادر على تغيير شيء من الخلق ، أو مسخ إنسان أو قلب حقائق الأعيان : فقد كفر بالله تعالى غاية الكفران .

واعتقاد ذلك لغير الله سبحانه : هو اعتقاد الربوبية لغيره تعالى وتقدس ، وهو كُفر .

هذا أصل مترسخ في قلب كل مسلم ، لا حاجة إلى التكلّف ببسط أدلته
عند من رسخت عظمة الله في قلبه ، وكان سوي العقل والفطرة .

ولكن اللبس وقع هنا عند البعض ، بسبب ما أورده بعض أهل التفسير من رأي خبيث لا يقول به عالم ، ولا يصدر إلا عن جاهل .
حتى استند أصحاب هذا الرأي إلى شهادة امرأة ساحرة (من أهل دومة الجندل) يذكرون أنها قدمت على أم المؤمنين عائشة (وهي رواية ضعيفة ، لا تصح)
وأنها تفوهت ببعض الكلمات (من أنها بذرت ، ثم أنبتت ، ثم حصدت في الحال)
(أي : أنها ادّعت انعدام أسباب نمو الحرث ، التي تمضي لشهور)
إلى غير ذلك من هذه الأوهام والأكاذيب .
فاعتمدوا على هذا الكفر : برواية ضعيفة ، أخرجها ابن جرير الطبري في تفسيره .
وهي من طريق عبدالرحمن بن أبي الزناد : الذي ضعفه أهل العلم ، وكبار أئمة الحديث : كأبي زرعة ، وعبدالرحمن بن مهدي ، ويحيى بن سعيد القطان ، وأحمد والنسائي ، ويحيى بن معين ، وأبي حاتم الرازي ، وغيرهم .

فاعتبروا ما حدّثت به هذه الساحرة من الكذب : أمر وبرهان ، ينعقد عليه الإيمان ودين واعتقاد : في أن الساحر له شيء من أمر الخلق ، والقدرة على قلب الأعيان فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

هذا دأب كل جاهل ، مفتر على الله ، ضال (كالذباب لا يقع إلا على القذر) .

فتركوا نور الفطرة ، والشرع ، والعقل ، وتعلقوا بكذب ، ووهم ساحرة .

وإني لأتعجب كيف يورد بعض أهل التفسير مثل هذه الضلالات في تفاسيرهم عن هؤلاء العلماء المزعومين : الذين يتكلمون بما لا يعلمون .

وقد جاء في الحديث الذي يرويه أحمد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
(ثلاثة لا يدخلون الجنة) وذكر منهم (ومصدق بالسحر) .
أي : من يجعل له حقيقة .
فالسحر : كذب ، وتخييل ، وخداع ، لا حقيقة له (قد وصفه الله تعالى بالإفك)
كما وصف الله تعالى أكبر سحرة الأرض ، وسمّى سحرهم (بالإفك) وهو الكذب .
قال تعالى **" فإذا هي تلقف ما يأفكون "** أي يكذبون .
وإنما تقع حقيقته فقط : من جهة العوارض ، والتأثيرات : التي تعتري الإنسان بسببه وبسبب فعل الشياطين : التي تسلّط من قبل الساحر على المسحور .

فيقع بسببها : المرض ، والقتل ، والجنون ، وغير ذلك .

ويقع التفريق بين المرء وزوجه ، بفعل الشياطين : التي تتلاعب بصور ، وهيئات الزوجين ، فتظهرهما بأبشع الصور ، فيقع بذلك الكره ، والنفرة بينهما .
وهو ما يسمى (بسحر الصرف والتفريق) .

ويكون له حقيقة من هذه الجهة فقط .
وأما ما عدا ذلك : فهو كذب ، وتخييل ، لا حقيقة له .
كما ذكر الله تعالى عن أكبر سحرة الأرض (سحرة فرعون) .

قال الله تعالى **" يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى "**
وقال تعالى **" وسحروا أعين الناس واسترهبوهم "**

أي وقع السحر على الأعين فقط ، دون تغيّر شيء من الحقائق والأعيان .

وأما ما يحكى : من أن الساحر يمشي على الماء ، ويطير في الهواء
فهذا ظاهر : من فعل الشياطين التي تقترن بوليّها الساحر ، فترفعه ، وتطير به في الهواء ، وهو أمر لا علاقة له : بأمر التصريف ، والخلق .

فإن الإنسان قادر على أن يرفع من هو مثله ، من بني جنسه : في الهواء
بما توصّل إليه من سبل ، وآلات الطيران .
ولكن الفرق هنا : بين رفع الإنسان ورفع الجان : أن رفع الجان مخفي غير ظاهر

فالشيطان الجني لا يرى بالعين ، فعندما يقع ذلك الرفع منه : يظهر للناظر أن الساحر قد طار من تلقاء نفسه ، وجاء بما هو خارق للعادة
وهو ليس كذلك ، وإنما هو من شغب الشياطين ، التي تجعل لأوليائها السحرة عظمة في نفوس ضعفاء النفوس .
فليس لهم من الخلق ، والأمر ، والتدبير ، والتصريف شيء .

دفع ما جاء من أباطيلهم : بإلحاق أكاذيبهم

بما أجراه الله على يدي نبيه عيسى عليه السلام من الآيات

وأما ما يذهب إليه أهل الإفك : من إمكانية حدوث شيء من أمر الخلق لغير الله استدلالاً بما جاء عن نبي الله عيسى عليه السلام في قوله تعالى **" ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله "**

وقولهم (أنه إذا كان ذلك مُمكن الوقوع في حق الأنبياء الذين هم بشر ، فليس أن يكون ممتنعاً في حق غيرهم) فهذا لاشك أنه من جهلهم ، وضلال أفهامهم .

ذلك أن الله تعالى قد جعل آياته دليلاً عليه ، وعلى الإيمان به سبحانه ، وليست دليلاً على الكفر به .

كما قال الله تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام **" وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني "**

فتأمل كيف كرر الله تعالى في آية واحدة ، قوله **" بإذني "** أربع مرات .

فلو لم ينسب عيسى عليه السلام ذلك الأمر (من الخلق والإحياء) إلى الله جل وعلا لما تَمّ له خلق ، ولما قام له ميت ، وإنما نسب ذلك الأمر إلى الله سبحانه ، وأجرى الله ذلك على يديه : تحقيقاً للإيمان ، ولبيان أن الفاعل لذلك والخالق حقيقة هو الله وحده سبحانه ، وليس عيسى .

كما قال عيسى عليه السلام **" وأحيي الموتى بإذن الله "**
وكما قال عيسى عليه السلام في نسبة هذه الآيات : من الخلق ، وغيره : إلى الله
قال **" أني قد جئتكم بآية من ربكم "**

ولو ذهبنا للنظر لما هو أدنى من ذلك : وهو إماتة الحي : الذي هو ليس بمعجز فإن ذلك لا يقع إلا بإذن الله .

كما قال الله تعالى **" وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجّلاً "**

ونجد ذلك ساطع البيان : في تحدي طاغوت أصحاب الأخدود عندما ادّعى الربوبية وسعى إلى قتل الغلام ، وتحدى على ذلك .

(وأراد أن يقتل الغلام بأمره هو ، لا بأمر الله وحده جل وعلا) .

فأعجزه الله تعالى عن ذلك ، ولم يجعل له سبيلاً إلى قتله : إلا بترك تلك الدعوى وذلك التحدي ، وإقراره بالله وحده سبحانه .

حتى اضطر الملك إلى ذكر (اسم الله) عند قتل الغلام ، فمات الغلام وقُتل بأمر الله وحده سبحانه ، لا بأمر الملك ، فآمن الناس حينئذ .

وهذا فيما هو ليس بمعجز : وهو إماتة الحي ، فإنه لا يقع إلا بإذن الله .
فكيف بإحياء الميت : الذي هو أمر معجز ، وآية من الآيات **؟!**

وهذا شرط لابد منه ، بعد تحقق وتعيّن ، شرط : الإيمان ، والنبوة .
وهو شرط : أن تُنسب هذه الآيات إلى الله وحده **" وأحيي الموتى بإذن الله "**

وأنه ليس لأحد أن يفعل ذلك من تلقاء نفسه ، أو أن ينسب ذلك لنفسه .

وهو شرط ممتنع الوقوع - حتى في حق الأنبياء - إلا من أخصه الله تعالى بذلك .
فكيف يكون جائز الوقوع في حق الطواغيت وشياطين الإنس **؟!**
الذين ينسبون ذلك إلى أنفسهم ، وليس إلى الله وحده .

وقد سعت الشياطين إلى التلاعب ببعض مدعي العلم ، فأجازوا وقوع شيء من ذلك بحق السحرة ، ثم قالوا (أن الله هو الخالق لهذه الأشياء والفاعل لها ، ولكن يقع ذلك كله عند إرادة الساحر وأمره ، وبإذن الله) وهذا كله من الكفر بالله ، والافتراء عليه جل وعلا ، وجوابه أن نقول : من أين لكم أن الله تعالى أذن بذلك **؟!**
" قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون " [يونس : 59]
إذا لم يقع إخبار الله لهم بهذا الإذن (كما أخبر عن نبيه عيسى) فَلْيُعلم أنهم مفترون
قال تعالى **" وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون "**
وقال تعالى **" وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً "**
فليس لهم حجة في ذلك إلا الظن .
وليس لهم ما يعوّلون عليه في ذلك : إلا على حديث منكر ، عن فتنة الدجال عارض الأحاديث الصحيحة الصريحة التي تبيّن حقيقة تلك الفتنة ، كما سيأتي .

فأخذوا بهذا الحديث المنكر : الذي هو من طريق عبدالرحمن بن جبير بن نفير (الذي استنكر أهل العلم حديثه وروايته) وصادموا فيه أصول الإيمان .

وهو من ضلالات بعض المتأخرين .
لم يقرره أحد من الصحابة ، ولا السلف ، ولا التابعين .

ثانياً : أما قوله تعالى **" وأحيي الموتى بإذن الله "**
فإن الإذن هنا : هو السماح بالشيء ، والأمر به ، وإرادة وقوعه
وقد أجاز الله تعالى لنبيه عيسى عليه السلام فعل ذلك ، وَأَمَرَهُ به
(بأن يخلق ويعمل من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه) .
وأراد سبحانه وقوعه لكي يكون (آية من الله) للناس .
كما قال تعالى **" أني قد جئتكم بآية من ربكم "**
فأين السماح هنا : من الله تعالى للساحر في أن يفعل ذلك الشيء **؟!**
وأين أمر الله هنا : للساحر في أن يفعل ذلك **؟!**
وأين إرادة الله : التي شاءها وأراد وقوعها هنا ، ومن أطلعهم عليها **؟!**

أما قولهم (أن الله يخلق ويفعل ذلك كله : عند إرادة الساحر وأمره) .

فهو قول ظاهر البطلان ، ولله الحمد ، لما تقدم من بيان ذلك .
من أن ذلك ممتنع الوقوع في حق الأنبياء : إلا من أخصه الله بذلك (وبشرط أن ينسب هذا النبي : فعل ذلك إلى الله وحده سبحانه) .

فكيف يكون ذلك مُمكن الوقوع ، في حق من كَفَرَ بالله ، وادعى فعل ذلك من تلقاء نفسه ، ولم ينسب ذلك إلى الله ، وإنما نسبه لنفسه **؟!**

ثالثاً : أن إثبات مثل هذه الأقوال يستلزم فتح باب الكفر والشرك على مصراعيه .

فالرافضة لعنهم الله : ينسبون لأئمتهم أفعال الربوبية (من إحياء الموتى ، وعلم الغيب ، وغير ذلك) .
ويقولون : أن أئمتنا يحيون الموتى بإذن الله ، ويعلمون الغيب بإذن الله .
فمن حَكَمَ بكفرهم ، لهذا الكلام .
قالوا له : أنتم تنسبون للسحرة ، والسفلة ، وشياطين الإنس ، والدجال : أنهم يفعلون ذلك كله بإذن الله .
ثم تعلنون النكير علينا : لوصفنا أئمتنا الأخيار الصالحين أنهم يفعلون ذلك بإذن الله

وكذا الصوفية ، وأرباب المشركين : عندما ينسبون لأوليائهم وأقطابهم أمر الرزق ويكذبون على العامة من الجهلة من أن الله : قد أوكل هذه الأقطاب بتقسيم الأرزاق وأنهم مخولون بذلك ، وأنهم يفعلون ذلك كله بإذن الله ، لعنهم الله .
ليصرفوا الناس عن عبادة الله إلى عبادة تلك الأقطاب .
يقولون : أنتم تنسبون للدجاجلة ، والسفلة فعل ذلك (بدعوى كاذبة أن الله أذن بذلك) وتنفون عن أوليائنا الصالحين فعل ذلك ، ساء ما تحكمون .

ولا يلامون عن مثل هذا : إن كان الجهلة من أهل السنة : قد سوغوا لهم مثل هذه الأقوال (بحديث ضعيف منكر) لم يقله النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى كانوا سبباً في فتنتهم وضلالهم **" ربنا لا تجعلنا فتنة للذين ظلموا "**

ما يتضمنه قولهم من الكفر الظاهر

من نسبة (الخلق) إلى الله ، ونسبة (الأمر) إلى غيره جل وعلا

وقد قال تعالى " ألا له الخلق والأمر "

وهذا التحقيق في غاية الأهمية ، فإن الله تعالى قد قال **" ألا له الخلق والأمر "**

وهؤلاء قد قالوا (أن الله يخلق ويفعل الأشياء : عند أمر الساحر وإرادته) .

وهذا يعني أنهم : أفردوا الله ووحّدوه في فعل (الخلق) ولم يوحّدوه في فعل (الأمر) .

وقد قال تعالى **" ألا له لخلق والأمر تبارك الله رب العالمين "**

والأمر هنا : يشمل الأمر الكوني القدري ، والأمر الشرعي الديني .

ومن الأمر الكوني : ما جاء في قوله سبحانه كما تقدم **" إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون "**

فقوله تعالى **" كن "** هذا أمره الكوني سبحانه ، جل وعلا .

فإذا كان الساحر يملك هذا (الأمر) وهذه الإرادة : في الأشياء التي لا تكون أبداً فتكون على ما يريده هذا الساحر ، فماذا بقي لله سبحانه ؟!

وما هو (الأمر) الذي اختصه الله تعالى - إذاً - لنفسه ؟!

فمفهوم الآية - إذاً - عند هؤلاء الجهلة القائلين بذلك : أن (الخلق) هو لله وحده وأما (الأمر) فهو لله ولغيره .
وهذا هو الكفر والشرك بعينه .

ما عُلِم باليقين من بطلان ذلك

عقيدة ، وشرعاً ، وفطرةً ، وعقلاً ، وواقعاً

لمّا عُلم باليقين : بطلان وكُفر مثل هذه الأقوال : من كونها ممتنعة الحدوث عقيدة وشرعاً ، وفطرة ، وعقلاً ، وأنه مما لا يشك فيه مسلم على بطلانها .
فهي أيضاً ممتنعة في واقع الوجود .

فهل رأينا في واقع الوجود : أن إنساناً مَسَخَه ساحر : فانقلب إلى حمار أو حيوان .
إن ذلك لم يحدث أبداً : إلا في حكايات العامة ، وما يتناقلونه من الخرافات .

ولو أن الساحر كان لديه القدرة على ذلك : لأزال البلدان والممالك ، ولاستخرج الكنوز ، وقام بتحويل الحجارة إلى ذهب ، ولكان أسعد الناس ، وغير ذلك .
بل لا يعرف عن السحرة إلا أنهم أشقى الناس ، وأتعسهم ، وأحقرهم في مجتمعاتهم

يقول ابن حزم رحمه الله (وذهب أهل الحق إلى أنه لا يقلب أحد عيناً ، ولا يحيل طبيعة : إلا الله عزوجل) [الفصل في الملل والأهواء والنحل 5/2] .

وقال الماوردي رحمه الله تعالى (فقد ذهب قوم ممن ضعفت في العلم مخابرهم وقلّت فيه معرفتهم : إلى أن الساحر قد يقلب بسحره الأعيان ، ويحدث به الأجسام ويجعل الإنسان حماراً ، بحسب ما هو عليه من قوة السحر وضعفه ، وهذا واضح الاستحالة من ثلاثة أوجه :
أحدها : أنه لو ثبت هذا : لصار خالقاً وهو مخلوق ، ورازقاً وهو مرزوق ، ورباً وهو مربوب ، وشارك الله تعالى في قدرته ، وعارضه في حكمته .
الثاني : أنه لو قدر على هذا في غيره لقدر عليه في نفسه ، فيردها إلى الشباب بعد الهرم ، وإلى الوجود بعد العدم ، ويدفع الموت عن نفسه ، فصار من المخلدين وباين جميع المخلوقين .
والثالث : أنه يؤدي إلى إبطال جميع الحقائق ، وأن لا يقع فرق بين الحق والباطل ولجاز أن تكون جميع الأجسام مما قلبت السحرة أعيانها ، فيكون الحمار إنساناً والإنسان حماراً) [الحاوي الكبير - للماوردي 13/ 210] .

أصل ذلك الضلال
في الاستدلال بحديث الدجال
الذي يرويه النواس بن سمعان
مع بيان ضعفه ونكارته ومصادمته لأصول الإيمان
ومخالفته للأحاديث الكثيرة عن فتنة الدجال

وقبل أن أدخل في صلب الموضوع من الناحية الحديثية ، أود أن أورد شيئاً من الأحاديث مما جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم في بيان حقيقة فتنة الدجال .

ما جاء من الأحاديث في حقيقة فتنة الدجال وسحره
وقول النبي صلى الله عليه وسلم عنه (أما إنه لا يحيي الموتى)
وتسارع الشياطين بين يديه للتمثّل بصور الأموات

وهذه جملة من الأحاديث والآثار ، رداً على الذين أرجفوا في عقائد أهل الإيمان حتى آل بهم الأمر أن يصفوا ذلك الأعور الدجال الكذاب بشيء من أوصاف الربوبية ، بحجج واهية هي أوهن من بيت العنكبوت .

وقد جلّى الله تعالى لنا أمره - لعنه الله – من أنه ساحر ، دجال ، تجتمع لنصرته الشياطين ، فيخيّلون للناس أموراً يظنونها أنها من الخوارق ، وهي ليست كذلك .

أخرج نعيم بن حماد في كتاب الفتن ، في ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله عن الدجال (يبعث الله الشياطين من مشارق الأرض ومغاربها ، فيقولون له استعن بنا على ما شئت ، فيقول : نعم) .

و**أبطل نبينا صلى الله عليه وسلم تلك الحجج ، بأحاديث كثيرة وصحيحة** جلَّى لنا فيها حقيقة ذلك الدجال ، منها قول النبي عن الدجال ، كما في رواية **أبي أمامة الباهلي** ، قال صلى الله عليه وسلم (وإن من فتنته أن يقول لأعرابي أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك ؟ فيقول : نعم ، فيتمثل له شيطانان على صورة أبيه وأمه ، فيقولان : يا بني اتبعه فإنه ربك) رواه ابن ماجه وأحمد .

وفي رواية أحمد عن أسماء بنت يزيد الأنصارية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (وإن أشد فتنته أن يأتي الأعرابي فيقول : أرأيت إن أحييت لك إبلك ألست تعلم أني ربك ؟ قال فيقول : بلى ، فتتمثل الشياطين له نحو إبله كأحسن ما تكون ضروعا وأعظمه أسنمة ، قال : ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول : أرأيت إن أحييت لك أباك وأحييت لك أخاك ألست تعلم أني ربك ؟ فيقول : بلى ، فتتمثل الشياطين نحو أبيه ونحو أخيه) رواه أحمد .

وفي مسند إسحاق بن راهويه عن أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عن الدجال (أما إنه لا يحيى الموتى) .

فلو كان قادراً على إحياء الموتى : لما استعان بالشياطين لتتمثّل وتتشكّل بالأموات

ولو كان ما يأتِ به : أمر معجز ، وخارق للعادة : لأحيا عظاماً قد أَرِمت ونخرت وأجساداً قد بَلِيَت .

ما جاء من الأحاديث في بيان سحره ودعوى إنزاله للمطر وقول النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك السحر (يرون السماء تمطر وهي لا تمطر ، والأرض تنبت وهي لا تنبت)

وقد تقدم في ذلك ما روي بإسناد صحيح ، عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الدجال (أكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب ، **يرون السماء تمطر وهي لا تمطر ، والأرض تنبت وهي لا تنبت** ، ويقول للأعراب : ما تبغون مني ؟ ألم أرسل السماء عليكم مدراراً وأحيي لكم أنعامكم شاخصة ذراها ، خارجة خواصرها ، دارّة ألبانها ؟
وتبعث معه الشياطين على صورة من مات من الآباء والإخوان والمعارف ، فيأتي أحدهم إلى أبيه وأخيه وذي رحمه ، فيقول : ألست فلاناً ؟ ألست تعرفني ؟ هو ربك فاتبعه) رواه الطبراني ، وعبدالله بن الإمام أحمد في " السنة " وإسحاق بن راهويه

فتأمل قوله صلى الله عليه وسلم (يرون السماء تمطر وهي لا تمطر ، والأرض تنبت وهي لا تنبت) .
وما في ذلك من الدلالة على سحره الذي يقع على أعين الناس ، حتى يُرى الشيء على غير صورته وحقيقته ، فيرى الناس السماء تمطر ، وهي في حقيقتها لا تمطر

وهو أيضاً ما أيدته رواية جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - التي في مسند أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس ، ومعه فتنة عظيمة ، يأمر السماء فتمطر **فيما يرى الناس** ، ويقتل نفساً ثم يحييها **فيما يرى الناس**) رواه أحمد والحاكم بإسناد صحيح .

فتأمل قوله صلى الله عليه وسلم (يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس) .
قوله (فيما يرى الناس) أي أن هذا في رأي العين فقط ، دون أن يكون له حقيقة وهو ما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في أول الحديث (ويبعث الله معه شياطين .. ، ومعه فتنة عظيمة يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس) .
أي أن هذا ظاهر من فعل الشياطين ، وتلاعبهم بأعين الناس ، وسحر التخييل .
كما قال تعالى **" وسحروا أعين الناس "** وقال **"يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى"**

وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم عن ذلك السحر من الدجال ، وما يدعيه من إحياء أنعامهم ، وتمثّل الشياطين نحو صور تلك الأنعام .

قال صلى الله عليه وسلم (وإن أشد فتنته أن يأتي الأعرابي فيقول : أرأيت إن أحييت لك إبلك ألست تعلم أني ربك ؟ قال فيقول : بلى ، فتمثل الشياطين له نحو إبله : كأحسن ما تكون ضروعاً وأعظمه أسنمة) رواه أحمد بإسناد صحيح .

وقوله صلى الله عليه وسلم (يرون السماء تمطر وهي لا تمطر ، والأرض تنبت وهي لا تنبت ، ويقول للأعراب : ما تبغون مني ؟ ألم أرسل السماء عليكم مدراراً وأحيي لكم أنعامكم شاخصة ذراها ، خارجة خواصرها ، دارّة ألبانها ؟ وتبعث معه الشياطين على صورة من مات) الحديث .

فإذا تأملت ذلك : علمت حقيقة تلك الفتنة .
وعلمت أيضاً : أن الناس في أمر الرزق بعد هذا السحر منه ، على قسمين :

الأول : من كَفَرَ بالدجال ، وهم أهل الإسلام : فإن الله تعالى سيجعل رزقهم وطعامهم وشرابهم (التكبير ، التسبيح ، والتحميد) .

كما دل على ذلك حديث أسماء بنت يزيد الأنصارية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عن رزق أهل الإيمان في زمن الدجال قال (يكفي المؤمنين عن الطعام والشراب يومئذ : التكبير ، والتسبيح ، والتحميد) رواه أحمد .

وفي رواية ، أن أسماء قالت : يا رسول الله ، إنا والله لنعجن عجينتنا ، فما نختبزها حتى نجوع ، فكيف بالمؤمنين يومئذ ؟ قال صلى الله عليه وسلم (يجزئهم ما يجزئ أهل السماء : من التسبيح ، والتقديس) رواه الطبراني وعبد الرزاق في المصنف .

وفي رواية ، أنه قالت رضي الله عنها (فناداه رجل فقال : يا رسول الله ، فَبِمَ يعيش المؤمنون ؟ قال صلى الله عليه وسلم : بما تعيش به الملائكة) رواه عبدالله بن الإمام أحمد بإسناد صحيح .

وفي رواية الطبراني (قالوا يا رسول الله فما يجزئ المؤمن يومئذ ؟ قال : ما يجزئ الملائكة من التسبيح ، والتحميد ، والتهليل ، والتكبير) .
والثاني : من آمن بالدجال ، وهم أهل الكفر : فإنه بعد مشاهدتهم لذلك الهول من السحر ، ووقوع ذلك التخييل على أعينهم ، وتمثّل الشياطين على صور أنعامهم وغير ذلك ، فإنهم سيتركون في خيالهم ، ويبقون في شكّهم ، وضلالهم .
ولا يُعطون من الطعام : إلا قليلاً مما قُسِمَ لهم ، مما جاء به الدجال من مخزون الطعام والشراب .

كما جاء في حديث جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ومعه جبال من خبز ، والناس في جهد : إلا من تبعه) رواه أحمد بإسناد صحيح .

وفي رواية أسماء بنت عميس عن النبي صلى الله عليه وسلم (فمن اتبعه : أطعمه وأكفره ، ومن عصاه حرمه ومنعه ، قلت : يا رسول الله إن الجارية لتحبس على التنور تخبزها ، فأكاد أن أفتتن في صلاتي ، فكيف بنا إذا كان ذلك ؟ فقال : إن الله يعصم المؤمنين يومئذ بما يعصم به الملائكة من التسبيح) رواه الطبراني .

وما روي كذلك في الصحيح من حديث المغيرة بن شعبة ، وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم (إنهم يقولون إن معه جبل من خبز ونهر من ماء ، قال رسول الله " هو أهون على الله من ذلك ") رواه البخاري .

وهذا أمر ليس خارق للعادة ، إذ بمقدور البشر جمع ذلك المخزون الكثير والكبير من (الماء) والذي عبّر عنه بالنهر لوفرته (والخبز) بالجبل لكثرته ، في وقت تلك المجاعة .

ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال أن معه (صورة الجنة الخضراء يجري فيها الماء وصورة النار السوداء) (وأن ماءه نار ، وناره ماء) وما فيه من الدلالة على سحره الذي يصوّر فيه الشيء المرئي على غير صورته وحقيقته

وقد بلغ من كفره - لعنه الله - وتشبّهه بالله جل جلاله ، وادعائه أنه هو الله : أن يقرن دعواه بالأكاذيب والأفعال من مجيئه بالماء والنار ، وقد صوّر عليهما صورة الجنة الخضراء وصورة النار ، لخداع متبوعيه بأنه هو ربهم ، وهذه جنته وناره .

ففي مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(معه صورة الجنة خضراء يجري فيها الماء ، وصورة النار سوداء تدخن) .

وعند الطبراني عن سلمة بن الأكوع عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
(معه صورتان : صورة الجنة وصورة النار ، وشياطين يتشبهون بالأبوين) .

فقوله صلى الله عليه وسلم (صورة) دلالة على أنها مجرد صوره فقط ، لا حقيقة لها

وفي الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان وغيره ، من قوله صلى الله عليه وسلم (إن الدجال يخرج ، وإن معه ماء وناراً ، فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق . وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب ، فمن أدرك ذلك منكم ، فليقع في الذي يراه ناراً ، فإنه ماء عذب طيب) متفق عليه .

وعند الحاكم قوله صلى الله عليه وسلم (نهران : أحدهما نار تأجج **في عين من رآه** والآخر ماء أبيض) رواه الحاكم بإسناد صحيح .

فقوله صلى الله عليه وسلم (فأما الذي يراه الناس) .
وقوله (في عين من رآه) أي أن ذلك في رؤيا العين فقط .

والناظر في جملة هذه الأحاديث يعرف أن مجيئ الدجال (بالماء ، والنار) على أي صورة كانتا : هو أمر طبيعي ، فإن الماء والنار مهما عظم نقلهما والطواف بهما على البشر : أمر ليس خارقاً للعادة ، وله في ذلك ثلاث غايات ، لعنه الله .

الأولى : ما دلت عليه الرواية الأولى : من التلبيس على الناس : بأنه هو ربهم وما يدعيه من المجيئ بالجنة والنار ، مستعيناً بذلك بالشياطين .
لتصوّر لهم ما جاء به من النار (بصورة الجنة الخضراء : التي يجري فيها الماء)
وتصوّر لهم ما جاء به من الماء (بصورة النار السوداء : التي تدخن) .
ليسحر بذلك أعين الناس .

والغاية الثانية : تهويل وتخويف من لم يؤمن به من الناس (حتى يؤمن به) .

والغاية الثالثة : وهي إلحاق العقوبة بمن لم يتبعه ، ولم يؤمن به : بأن يدخله في ناره ، ليخيف من بعده ، ومن حوله .

وهذه العقوبة قد جعلها الدجال : اختيارية ، لعدة أدلة ، وأمور ، وأسباب :

الأول : ما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (فليقع في الذي يراه ناراً ، فإنه ماء عذب طيب) .
وفي رواية (فليأتِ) رواها ابن أبي شيبة .

وهذه الرواية التي رواها حذيفة بن اليمان وهي في الصحيحين عند البخاري ومسلم هي أصح الروايات هنا في هذا الباب ، وأضبطها .
فإن حذيفة قد وافق فيها الصحابي : أبا مسعود الأنصاري .
فإنه بعد أن حدّث حذيفة بهذا الحديث عند أبي مسعود .
قال أبومسعود (وأنا قد سمعته ، من رسول الله) .

فقوله صلى الله عليه وسلم (فليقع) دل ذلك على أن : هذه العقوبة اختيارية : أي بمعنى يختارها المؤمن ، وليس الدجال ، إذ لو كانت اجبارية يختارها الدجال لم يكن للمؤمن سبيل للاختيار (يختار هو بنفسه أمر الوقوع) بل يلقى في النار رغماً عنه

والثاني : (وهو الأهم هنا) وهو ما أود أن ينتبه إليه القارئ ، ويتفطن له : من حل لغز ، وخدعة ، وكيد هذا الدجال .
ورفع ما وقع عند البعض (في الأحاديث) من الإشكال .

وهو أن هذا الدجال : لم يكن ليصوّر الشيء بخلافه ، وعلى غير حقيقته ، ثم يجعل عقوبة من لم يتبعه ، هي : التفضل عليه ، والثواب له ، والإحسان إليه .

فإن ما كان ظاهره عند الناس خلاف ما هو عليه في الباطن ، بسبب السحر : لم يكن للدجال أن يجعل ذلك الظاهر الذي هو على غير حقيقته : عقوبة يلحقها ، وينتقم بها ممن كَفَرَ به .
فإن الناس ترى أن الماء الحقيقي : هو في ظاهره نار ، وهو في حقيقته ماء
فإذا جعل الدجال العقوبة اجبارية : بأن يلقي هو بنفسه : من كَفَرَ به (في النار المكذوبة : التي هي في ظاهرها عند الناس نار ، وهي في حقيقتها ماء) .

هذا يعني أنه لم يعاقب من كَفَرَ به ، بل يكون بذلك قد أحسن إليه ، لأنه سيدخله في الماء البارد العذب الحقيقي (الذي هو في ظاهره نار) .

فلن تكن هذه عقوبة يلحقها الدجال ، وينتقم بها ، ممن كَفَرَ به .

هذا ما دعاه - لعنه الله - أن يجعل العقوبة اختيارية ، يختارها المؤمن بنفسه
لأن لعله أن ينخدع بسحره ، فيذهب ذلك المؤمن إلى ما كان في ظاهره الماء
وصورة الجنة الخضراء (ثم يقع في نار الدجال الحقيقية) .

لذلك حذرنا رسول الله من ذلك أشد تحذير ، وأمرنا أن نقع في ما هو في ظاهره نار
قال صلى الله عليه وسلم (فليقع في الذي يراه ناراً ، فإنه ماء عذب طيب) .

وأمرنا كذلك أن نقرأ فواتح سورة الكهف ، التي ستضعف سحر الدجال في عين المؤمن ، فيرى بعدها الماء على حقيقته : بأنه ليس ناراً ، وإنما هو ماء بارد عذب فيتجرأ على الدخول فيه ، ويزول عنه الخوف .

فدعوى الدجال - إذاً - للربوبية : ألزمه أن يأتي بدلائلها ، فكان من تلك الدلائل المكذوبة : ما سحر به أعين الناس من الماء والنار ، وإظهارهما على غير حقيقتهما بصورة الجنة الخضراء التي يجري فيها الماء ، وصورة النار السوداء التي تدخن .

كما أن استعانته بالشياطين لإخراج كنوز الأرض إنما أراد به - لعنه الله - إقناعهم بأنه هو ربهم : الذي له خزائن كل شيء ، وملك كل شيء .

وكذا مجيئه بالمخزون الكثير من الطعام والشراب في وقت المجاعة والذي عبّر عنه كما في حديث المغيرة بن شعبة (بالجبل من الخبز ، والنهر من الماء) .

إنما أراد به التلبيس على الناس : بأنه هو ربهم : الذي يملك أمر رزقهم ، لعنه الله .

ما جاء من الأحاديث والآثار في حقيقة مزاعم الدجال ومن اتباع كنوز الأرض له وأن ذلك كله من مكر الشياطين والجن وأفعالهم

وأما ما يذكر في الروايات من المزاعم عن الدجال ، ومن اتباع كنوز الأرض له فهو أيضاً ليس من خوارق العادات ، بل هو من مكر أعوانه الشياطين من الجن الذين سخروا أوقاتهم وأعمارهم لرصد كنوز الأرض : من دفائن ، وغيرها .

وما تحويه الأرض في باطنها من الكنوز المدفونة ، والمخبأة في الكهوف والمغارات (كما هو معروف ومشهور عند العامة ، ومشاهدها التي لا تخفى ، وهو منتشر في الروابط المرئية ، والفيديوهات المصورة الكثيرة ، في اليوتيوب ، وغيره) .
والتي تثبت رصد الجن ، وأصنافاً من الجن : كالثعابين : التي هي مسخ الجن (كما جاء في الأحاديث) لكنوز الأرض .

فترصد هذه الكنوز تمهيدا لخروج وليّها المسيح الدجال ، فتخرج له هذه الكنوز لتتبعه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال (ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزكِ ، فتتبعه كنوزها) رواه مسلم .

وقد تقدم ما أخرجه نعيم بن حماد في كتابه " الفتن " عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله (يبعث الله الشياطين من مشارق الأرض ومغاربها ، فيقولون له : استعن بنا على ما شئت ، فيقول : نعم) .

وروى نعيم بن حماد في " الفتن " عن جمع من التابعين ، أنهم قالوا عن الدجال (فتبايعه قبائل الجن ، ويخرجون له كنوز الأرض) .

وروى نعيم بن حماد أيضاً في "الفتن" عن كعب ، قال (ويأمر إبليس ذريته باتباعه فيظهرون له الكنوز ، فلا يمرون بخربة ، ولا أرض فيها كنز إلا نبذ إليه كنزه) .

وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم عن الدجال (ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجي كنوزكِ ، فتتبعه كنوزها) رواه مسلم .

فقوله صلى الله عليه وسلم (ويمر بالخربة)

فإن الخربة هنا : هي مساكن من مات من الأولين ، فصارت خراباً : لهجرانها وتركها بعد عمرانها .
وغالباً ما يكون فيها دفائن : من كنوز أهلها ، مما لا يعلم بها أحد : إلا أصحابها فبمجرد موتهم ، ومفاجأة الموت لهم : تذهب كنوزهم غنائم للجن .

فلا هم **" يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون "**

فتذهب تلك الكنوز غنائم لشياطين الجن : الذين سيعمرون هذه الخربات ، والمساكن المهجورة ، بعد هجران أهلها لها ، دون معرفة وعِلم ذوي الأموات ، ووارثوهم بما في تلك المساكن المهجورة : من الكنوز .

فإذا غنمتها شياطين الجن : أعدتها لوليّها الدجال اللعين ، تمهيداً لخروجه : لفتنة الناس وإضلالهم : بأن ذلك الدجال هو ربهم : الذي له خزائن كل شيء ، وملك كل شيء .

وقوله صلى الله عليه وسلم عن الدجال (فيقول لها : أخرجي كنوزكِ) .

هنا يمتثل لأمره شياطين الجن ، فيخرجون تلك الكنوز المرصودة .
(فترى القِلال ، وغيرها مما تحويه هذه الكنوز : تتبع الدجال) .

فيرى الناس الكنوز تسعى خلف الدجال ، ولا يرون حاملها وهم الجن : لامتناع رؤية الجن وتعذّر مشاهدتهم (فيظن الناس أن الكنوز استجابة لدعوة الدجال ، فأتت خلفه)

وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم (ويمر بالخربة)

ولم يقل (ويمر بالمناجم ، وأصول الجبال ، وغيرها) مما يدل على أن الخِرَب : هي مساكن الجن التي يعمرونها ، ويرصدون كنوزها ، لحين خروج وليّهم الساحر الدجال

لذا صارت تلك الكنوز (التي لم يخرج أهلها زكاتها) غنائم للدجال ، وللجن والشياطين التي أمرتهم بترك الزكاة .

وأما الكنوز (التي أدى أهلها زكاتها) فهي مال ، مبارك ، محفوظ لأهله ، ولو بعد موتهم ، ولن يكون مالهم غنائم للدجال ، ولا لغيره .

كما قال الله تعالى في سورة الكهف عن الرجل الصالح **" وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك "** الآية .

فجعل الله ما كان عليه أبوهما : من الإيمان ، والصلاح
والذي منه (إيتاء الزكاة) سبباً لحفظ ذلك الكنز .
فلم يذهب كنزهم لأحد ، ولم تغنمه الجن .

ما جاء من إسراعه في الأرض
وحمل الشياطين له وشغبهم بذلك

وأما ما يُذكر من سرعة الدجال في حديث النواس (قالوا وما إسراعه في الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح) .

فهو من التهويل المذموم ، والإرجاف في عقائد أهل الإيمان : بنسبة الخوارق لذلك الدجال .

فأين الأمر العجاب هنا : عند من كان واستعان ، بكل مارد شيطان موصوف بما هو عليه : من الطبيعة ، والخفة ، والطيران .

قال الله تعالى عن نبيه سليمان عليه السلام **" قال يا أيها الملأ أيّكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين * قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين "**

وقال تعالى عن الجن **" وأنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرساً شديداً وشهباً "**

بل قد بلغ بنو الإنسان تلك القدرات ، بما وصلوا إليه في هذه الأزمان : من النفوذ والسرعة ، والتحليق ، والطيران ، بما لا يخطر على بال .
فكيف ببني الجان : التي هي طبيعتهم : أن يحملوا وليهم الدجال ، ويجوبوا به الأمصار والبلدان ، بسرعة الريح .

وقد جاء في الأثر الذي يرويه نعيم بن حماد في كتابه " الفتن "عن كعب أنه قال (تتعلق بالدجال حيّة إلى جانب ساحل البحر ، ثم يخرج) .

والحيّة مسخ الجن ، وضرب من الشياطين ، وأصناف منهم ، كما دلّت الأحاديث الصحاح في مسلم ، وغيرها (أي بمعنى : أن من شياطين الجن من وقعت عقوبة الله عليهم : بمسخهم إلى حيّات) وليس كل الحيّات : هي جن .

قال الله تعالى **" والشياطين كل بنّاء وغواص * وآخرين مقرنين في الأصفاد "**

وجاء في مصنف ابن أبي شيبة عن الحسن مرسلاً ، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم (الدجال يخوض البحار إلى ركبتيه ، ويتناول السحاب ، يسبق الشمس إلى مغربها ، وفي جبهته قرن يخرص منه الحيات) .

وأخرج أحمد في المسند عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا ، إن مسيح الدجال رجل **قصير أفحج** جعد أعور مطموس العين ..) الحديث ، رواه أحمد وأبودواد .

فتستقر تلك الحيّة (التي هي شيطان غواص ، كما أشارت الآية) بين رجلي الدجال المتباعدتين (وهو الأفحج) وهذا معنى قوله (الدجال يخوض البحار إلى ركبتيه)

أي أن الحيّة - التي تتعلق به - ترفعه عن الماء إلى ركبتيه ، فتستقر بين رجليه المتباعدتين بسبب الفحج ، فلا يمس الماء منه إلا ما تحت الركبتين ، لأن الحيّة ترفعه عن الماء ، وتكون له مركوباً يجوب ويقطع بها البحر ، فتخرجه من جزيرته إلى ساحل البحر .
ثم يتولى باقي الشياطين مهمة رفعه ونقله بين البلدان ، والطيران به : ليسرعوا به في الأرض (ويتناول - حينئذ - ذلك السحاب بيديه) .

وتقدم ما رواه أيضاً نعيم بن حماد في " الفتن " عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله (يبعث الله الشياطين من مشارق الأرض ومغاربها ، فيقولون له : استعن بنا على ما شئت ، فيقول : نعم) وغيرها من الأحاديث .

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج ، في قوله تعالى **" لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس "** قال (زعموا أن اليهود قالت يكون منّا ملك في آخر الزمان البحر إلى ركبتيه ، والسحاب دون رأسه ، ويأخذ الطير بين السماء والأرض معه جبل خبز ونهر ماء ، فنزلت "لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس")

إن أقصى ما يمكن القول به هنا : أن هذه قدرات ، وليست خوارق .
وإنما هي خوارق عند من لم يعِ ذلك ، ويدركه ، ويحط به علماً .

وأما ما يورده البعض من الإشكال ، بأنه : لو كان الدجال ساحراً ، لماذا لم يأتِ النص بوصفه بذلك ؟!

فأقول : أما عن تعيين الوصف والتسمية هنا : بأنه ساحر ، فقد جاء في بعض الروايات عند الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم بوصفه بذلك ، وفيها ضعف إلا أنها مما يروى في هذا الباب .

فقد أخرج الطبراني وأبي نعيم عن عبدالله بن مغنم عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله عن الدجال (ثم يدعو برجل فيما يرون ، فيؤمر به فَيُقتل ..، ثم يضربه بعصاه فإذا هو قائم ، فيقول : أنا الله ، أحيي وأميت ، **وذلك كله سحر** ، **يسحر به أعين الناس** ، **ليس يصنع من ذلك شيئاً**) .
وجاء في رواية نعيم بن حماد ، **عن كعب** : أنه قال في الدجال (**ثم يظهر السحر** ويدعي النبوة ، فيفترق عنه الناس) .

ثانياً : أنه قد جاء في الأحاديث الصحاح عن نبينا صلى الله عليه وسلم ما هو أعظم في الدلالة من تعيين مسمى السحر في حق الدجال : فقد وصفه رسول الله بذلك ووقع في قوله صلى الله عليه وسلم من الدلائل ما هو أعظم من النص والتسمية وهو ذكر ما عليه من الأمور ، والأحوال ، والصفات التي لا يخالف أحد : أنها من أعمال السحرة ، وأفاعيلهم .
من اجتماع الشياطين حوله ، وتمثّلهم بصور الأموات والأشياء ، وإيقاع الخيال على أعين الناس ، وتصوير الأشياء على غير حقائقها ، فيرون ما معه من الماء والنار بصورة الجنة الخضراء والنار السوداء ، ويرون السماء تمطر ، وهي لا تمطر .
وغير ذلك ، مما لا يقع الشك فيه أنه من أعمال السحرة ، وليس من الحقائق والآيات التي جاء بها الأنبياء عن الله جل وعلا .

ثالثاً : أن عدم ورود التسمية في كثير من الأحاديث لا يعني النفي المطلق من أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نص على مسمى السحر ، فقد رأينا اختلاط الرواة ووهمهم ، وإسقاطهم لما جاء من الألفاظ في الروايات ، كما وقع سقط (ذكر الجنة والنار ، وتمثّل الشياطين) في رواية النواس ، وهو مذكور في رواية أبي أمامة ورواية أسماء بنت يزيد ، وغيرهم .

في قصة الرجل المؤمن
الذي يدعي الدجال أنه يقتله ثم يحييه
وما جاء من الدلائل في أن الذي يحيي هذا الرجل
هو الله وحده سبحانه وليس الدجال

وأما قصة الرجل المؤمن : الذي يدعي الدجال : أنه يقتله ثم يحييه .

فقد جاء نص رواية أبي أمامة الباهلي من قول النبي صلى الله عليه وسلم (أن الذي يبعثه هو الله سبحانه) وليس الدجال .

ومن ذلك ما رواه ابن ماجه ، وأبوداود ، وغيرهم عن أبي أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة ، فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى يلقى شقتين، ثم يقول انظروا إلى عبدي هذا ، فإني أبعثه الآن ثم يزعم أن له رباً غيري ، **فيبعثه الله** ، ويقول له الخبيث من ربك ؟ فيقول ربي الله وأنت عدو الله ، أنت الدجال ، والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك منك اليوم)

فتأمل قوله **(فيبعثه الله)** وليس الدجال ، هذه رواية أبي أمامة رضي الله عنه .

أما رواية سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ، فقد جاء قول النبي صلى الله عليه وسلم فيها عن الدجال (ويقول : أعيده لكم ، **فيبعثه الله عزوجل** أشد ما كان له تكذيباً وأشد شتماً) الطبراني .

وهذا اللفظ : هو الذي ينبغي أن يقدّم على غيره من الألفاظ المنكرة ، الشاذة المتضاربة : مراعاة للإيمان ، وتعظيماً وحفظاً لمقام وجانب الربوبية .

وأما ما جاء من الروايات : من دعوى أن الدجال هو الذي يحيي الرجل المؤمن فهي روايات غالبها منكرة ، لا تصح سنداً .

أما رواية النواس بن سمعان ، التي أخرجها مسلم ، فهي من طريق عبدالرحمن بن جبير بن نفير الذي استنكر أهل العلم روايته وحديثه ، كما سيأتي بيان التفصيل في ذلك .

وأما رواية عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري التي أخرجها عبد بن حميد وأبي يعلى ، فهي كذلك منكرة ، لا تصح .
فيها عطية العوفي : الذي اتفق أهل العلم على تضعيفه .
وفيها الحجاج بن أرطأة : الذي لم يحتج به أئمة الحديث ، وهو كثير التدليس .

وأما رواية أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري التي أخرجها مسلم : فهي أيضاً منكرة
فأبو الوداك ، جبر بن نوف : لم يحتج به البخاري ، وغيره .
وقال عنه ابن حجر في التقريب : صدوق يَهِم .

ولا يصح إسناد رواية أبي سعيد الخدري إلا من طريق الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن أبي سعيد (وهي أيضاً منكرة في متنها) .

وقد أخرجها البخاري في الصحيح (كتاب فضائل المدينة ، باب لا يدخل الدجال المدينة) من طريق يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن أبي سعيد الخدري ، قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً طويلاً عن الدجال ، إلى قوله (فيقول الدجال أرأيت إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر ، فيقولون : لا ، فيقتله ، ثم يحييه ، فيقول حين يحييه والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم) .
ورواها مسلم بسنده من طريق الزهري عن عبيد الله : بهذا اللفظ .

وهذه الرواية ، الأظهر فيها : أنها من منكرات الزهري ، وأوهامه .

وكما أشار إليه الإمام مسلم في كتابه " التمييز " من بعض أوهام الزهري في الرواية عندما عقد باباً في كتابه فقال (الأخبار المنقولة على الوهم في المتن دون الإسناد)

ثم ساق ما رواه الزهري بفهمه ووهمه في رواية ذي اليدين ، كما سيأتي .
فقوله في الرواية (فيقتله ثم يحييه) .

قلت : لعل هذا من التصحيف ، أو السقط في الرواية ، أو الوهم عند الراوي بإسقاطه لفظ الجلالة من أصل الكلام .
فبدلاً من أن يروي بعبارة (فيقتله ثم يحييه الله) .
كما تقدم في رواية أبي أمامة ، وسلمة بن الأكوع بلفظ (فيبعثه الله) .
أسقط الراوي اسم (الله) من أصل الكلام ، فرواها بلفظ (فيقتله ثم يحييه) .
فأرجع المعنى في الإحياء إلى الدجال ، فروى ذلك (بفهمه) أو (بوهمه) .

أو لعل هذا من الغفلة ، أو التدوين الخاطئ عند الراوي : بإضافته حرف الواو عند لفظ الجلالة ، في قوله (والله) .
فبدلاً من أن يروي الحديث ويكتبه بلفظ (فيقول حين يحييه الله : ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم) فيقع الفصل بين العبارتين .
ويستأنف الكلام بقول (ما كنت أشد قط بصيرة مني اليوم) .
أدخل كلا العبارتين ببعضهما ، ثم أدخل حرف الواو على لفظ الجلالة ، فأوهم القارئ على أنه من القسم اليمين ، فاستقام عنده ظاهر الكلام ، فضل وأضل .
وهو من الخطأ ، والخلط ، والوهم ، والرواية بالفهم ، والغفلة التي هي حاصله عند كثير من الرواة ، مما لا يخفى ، بل لا يسلم منها كبار الحفاظ .
سيما وأن الحديث مروي بخبر الآحاد ، وأنه من الأحاديث الطوال .
كما في قول أبي سعيد (حدثنا رسول الله حديثاً طويلاً) .
والتي لا يكاد أن يسلم فيه الراوي : من الخطأ .

قال سفيان الثوري (ليس يكاد يفلت من الغلط أحد) .

وقال عبدالله بن المبارك (من يسلم من الوهم ؟ وقد وَهّمت عائشة جماعة من الصحابة في رواياتهم للحديث) .

وقال ابن رجب (وَهّم سعيد بن المسيب ابن عباس في قوله : إن النبي تزوج ميمونة وهو محرم) [شرح علل الترمذي] .

وقال الإمام أحمد (كان مالك من أثبت الناس ، وكان يخطأ) .
وقال حماد بن زيد عنه (وقد أخطأ في غير شيء) .
وقال الترمذي في العلل الصغير (لم يسلم من الخطأ والغلط كبير أحد من الأئمة مع حفظهم) .
وقال يحيى بن معين (من لم يُخطئ فهو كذاب) .
وقال أيضاً (لست أعجب ممن يحدّث فيخطئ ، إنما أعجب ممن يحّدث فيصيب) .

قلت : وقد وَهّم الإمام مسلم في كتابه " التمييز " ابن شهاب الزهري ، في حديث ذي اليدين ، وحَكَمَ عليه : بالوهم .

والزهري : هو راوي حديث الدجال : في قتله للرجل المؤمن ، كما تقدم .

قال مسلم رحمه الله (ومن الأخبار المنقولة على الوهم في المتن دون الإسناد) .

ثم ساق حديث الحسن عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن صالح عن ابن شهاب الزهري أن أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة أخبره أنه بلغه (أن النبي صلى الله عليه وسلم : صلى ركعتين ثم سلّم ، فقال ذو الشمالين بن عبد عمرو : يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت ؟ فقال **" لم تقصر الصلاة ، ولم أنسَ "** فقال ذو الشمالين : قد كان ذلك يا رسول الله ، فأقبل رسول الله على الناس ، فقال **" أصدق ذو اليدين ؟ "** قالوا : نعم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتم ما بقي من الصلاة ولم يسجد السجدتين اللتين تسجدان إذا شك الرجل في صلاته حين لقاه الناس) .

قال مسلم رحمه الله (وخبر ابن شهاب هذا في قصة ذو اليدين : **وَهمٌ** ، **غير محفوظ** لتظاهر الأخبار الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا) .

وقال رحمه الله (قد صح بهذه الروايات المشهورة المستفيضة في سجود رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ذو اليدين ، **أن الزهري : واهم في روايته** ، إذ نفى ذلك في خبره ، من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) [التمييز ص 116] .

قال ابن عبد البر في التمهيد (لا أعلم أحداً من أهل العلم والحديث المصنفين فيه عوّل على حديث **ابن شهاب** في قصة ذي اليدين ، وأنه لم يقم إسناداً ، ولا متناً

وإن كان إماماً عظيماً في هذا الشأن ، فالغلط لا يسلم منه أحد) [التمهيد 336/1]
وقال ابن حجر في الفتح (اتفق أئمة الحديث - كما نقل ابن عبد البر ، وغيره - على **أن الزهري : وَهَمَ في ذلك** ، وسببه أنه جعل القصة لذي الشمالين ، وذو الشمالين هو الذي قُتل ببدر ، وهو الخزاعي ، واسمه عمير بن عبد عمرو بن نضلة .
وأما ذو اليدين فتأخر بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة ، لأنه حدّث بهذا الحديث بعد النبي كما أخرجه الطبراني ، وهو سَلمي ، واسمه الخرباق) [الفتح 125/3] .

ثانياً : ليس كون الحديث مروي في البخاري : يعني الجزم بصحة جميع ألفاظه كما تقدم البيان في ذلك ، وقد يقع الخلاف في لفظ ، أو عباره : من حديث أصله في البخاري ، فيكون من الخطأ الظاهر ، كما في رواية أسماء بنت أبي بكر التي أشرت إليه في رسالة " تعيين من هو المستأمن "
عندما قدمت عليها أمها (قتيلة) وهي مشركة ، في عهد رسول الله (أي في زمانه وأثناء حياته) .
فقد رواها حماد بن أسامة عن هشام بن عروة بلفظ (عهد رسول الله)
ورواها حاتم بن إسماعيل عن هشام بلفظ (عهد قريش)
فوقع الخلاف في اللفظ ، فوقع بعدها الخلاف في الحُكم .
وحماد : ثقة ثبت ، **وحاتم :** صدوق يَهِم ، وكلا الروايتين في البخاري .

(**وقد يُروى الحديث من طريق واحد** ، وتقع علته في المتن ، فيكون معلولاً من جهة نكارة ألفاظه ، سيما إذا كانت هذه الألفاظ تعارض أصلاً من أصول الإيمان) .
(فليس مخالفة الرواة : أعظم من مصادمة أصول الإيمان) .

وتقدم ما نص عليه العلماء : من أن الحديث إذا كان ظاهره الصحة ، ثم جاء يعارض أصلاً من أصول الإيمان ، أو الشريعة ، فإنه يُرد ، ولا يُلتفت إليه مراعاة لهذا الأصل .

وتقدم أيضاً أن الجرأة على وصف الراوي بالخطأ أهون من الجرأة على إفساد الدين واللعب بعقائد المسلمين ، ونسبة ما اختص به سبحانه : من أفعال ودلائل الربوبية إلى الطواغيت ، والملاعين .

ما جاء من الحقائق الدالة على معرفة الدجال
بإحياء الله (للرجل المؤمن)
وترقّبه لذلك ، وكيده فيه

تقدم في رواية أبي أمامة الباهلي ، من قول النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال (وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة ، فيقتلها وينشرها ...، ثم يقول : انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن ، ثم يزعم أن له رباً غيري) .

قوله (ثم يقول : انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن)

هذا قول الدجال ودعواه ، وليس هو تقرير النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الدعوى

فلم يقل النبي صلى الله عليه وسلم (فيقتلها وينشرها ، ثم يبعثها)
وإنما نسب النبي صلى الله عليه وسلم هذا القول للدجال ، لبيان كذبه ودجله .

وهذا فيه دليل : على أن هذا القول من الدجال : هو مجرد دعوى منه ، لعنه الله .
تتجلى حقيقة تلك الدعوى الكاذبة ، وتظهر : في قول النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك **(فيبعثه الله)** وليس الدجال .

ثانياً : قوله صلى الله عليه وسلم (وإن من فتنته : أن يسلط على نفس واحدة)

(نفس واحدة) أي : لن يكون للدجال مدخل للفتنة على أهل الإيمان
إلا في هذه الحالة فقط ، وهذه النفس الواحدة ، لأن (إحياء هذا الرجل المؤمن) سيكون ويقع على وجه الحقيقة .
فإن الله سبحانه هو الذي سيحيي هذا المؤمن ، وليس الدجال
كما تقدم في قول النبي صلى الله عليه وسلم (فيبعثه الله)
ولن تقع هذه الحادثة على وجه التخييل ، كما يحدث في باقي دعواه لإحياء الموتى والتي تتمثل فيها الشياطين بصور الأموات .

فهذه هي الفتنة الوحيدة العظيمة على أهل الإيمان .
لذلك سرعان ما يرحم الله عباده المؤمنين ، ويلطف بهم ، فيكشف عنهم تلك الفتنة ويبطل دعوى الدجال في نفس اللحظة ، ليعجزه بعد ذلك عن إعادته قتل ذلك الرجل المؤمن ، فضلاً على أن يحييه .
كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم (فيريد الدجال أن يقتله ، فلا يسلط عليه) .
فيعجزه الله عن إعادة قتله : الذي هو أمر ليس بمعجز .

كما أعجز الله طاغوت أصحاب الأخدود ، لما ادعى الربوبية : عن قتل الغلام .

ففي هذه الساعة التي يعجز فيها الدجال عن قتل الرجل : يرتاب فيه الناس ، وينكشف أمره ، ويعلموا عندئذ أن الذي أحيا الرجل المؤمن في المرة الأولى هو الله وحده سبحانه ، وليس الدجال) .

ثالثاً : لما أراد الله تعالى ابتلاء العباد وفتنتهم في حالة واحدة فقط ، خاصة لا تتكرر هيأ الله تعالى : أسباب تلك الفتنة .

والسبب في ذلك : هو أن هذا الدجال اللعين : لما عَلِم واطّلع على ما جاء في كلام نبينا صلى الله عليه وسلم من الأخبار الغيبية ، والأحاديث النبوية عن فتنته

وأن الله تعالى سوف يحيي نفساً واحدة فقط ، بعد موتها : في زمان خروجه يبتلي الله بها العباد (وهي نفس ذلك الرجل المؤمن ، الذي سيواجه الدجال عند قدومه المدينة) .

أراد - لعنه الله - أن يظفر بهذه الآية الربّانية ، حتى تقع نسبتها إليه .
ويتوافق توقيت أمره - لعنه الله - مع أمر الله تعالى : في إحياء الرجل المؤمن .

السر الذي جعل الدجال يعلم بتوقيت الله
في إحياء الرجل المؤمن
وعليه تحدى الناس : في نسبة ذلك الإحياء لنفسه

إذا ما قلنا - كما تقدم - أن الدجال عَلِم من أحاديث نبينا صلى الله عليه وسلم (التي هي من علم الغيب) بأن إحياء الله للرجل المؤمن (عند قصد الدجال المدينة وامتناعها عليه)
أن هذا الإحياء سيكون بعد قتل الدجال للرجل المؤمن مباشرة ، كما جاء في الحديث وأنه - لعنه الله - أراد أن يظفر بهذه الآية الربانية لكي تقع نسبتها إليه ، ويتوافق توقيت أمره الكاذب مع أمر الله تعالى ، ويصادف أمره أمر الله ، حتى يثبت للناس أنه قد أتى بالدليل الذي يدل على دعواه إحياء الموتى .

وهذا هو السر الأول : الذي جعل الدجال يعلم بأمر الله تعالى بإرجاع تلك الروح لذلك الجسد ، ليتحدى الناس على ذلك (وهو معرفته بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الحديث عن ذلك) .

والسر الثاني : وهو ما سوف يوقعه الله تعالى في روع الدجال وإحساسه : من معرفة بعث الله لهذه الروح .
ذلك أن الله تعالى سوف يلقي في روع الدجال ونفسه : توقيت بعث الله لتلك الروح .

كما ألقى الله تعالى في روع ونفس السامري توقيت بث الروح في العجل الذي عَبَدَه بنو إسرائيل (كما سيأتي بيان ذلك في قول ابن عباس) فحرص السامري على المسارعة في أخذ القبضة التي قبضها من أثر الرسول جبريل ، ليلقيها في ذلك العجل وصار هذا الوقع في نفسه : بمنزلة اليقين ، فأقبل على فعله ، والتحدي عليه .
وهو من صور (وحي الإلهام).
كما هو الأمر في أم نبي الله موسى عليه السلام عندما ألقى الله في روعها ونفسها أن تلقي بولدها في اليم ، وأنه سبحانه سيرده إليها ، ويجعله من المرسلين .
وكان ذلك عندها بمنزلة اليقين ، فأقدمت على فعل ذلك ، وهو أمر يخالف السنن العقلية ، والطبيعة البشرية .

وقد جاء في رواية ابن جرير الطبري رحمه الله ، عند قول الله تعالى **" ثم اتخذتم العجل من بعده "** في ذكر القبضة التي قبضها السامري .
عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال (**وألقي في روع السامري** : إنك لا تلقيها على شي ، فتقول : كن كذا ، إلا كان) .

قوله (فتقول : كن كذا ، إلا كان) المعني في ذلك : هي تلك القبضة فقط ، لأن الله تعالى سيفتنه بها .

وليس هذا من الخوارق ، ولا القدرة على الشيء وملك الأمر فيه ، وإنما هي حالة واحدة فقط ، أوقع الله تعالى في نفس السامري أنه سبحانه سيبث الروح في جسد ذلك العجل ، فلو كان للسامري القدرة على ذلك : لأعاد فعل ذلك مرة أخرى .
فقد روي في بعض الآثار : أن العجل لم يخرج منه صوت الخوار إلا مرة واحدة ثم لم يعد إلى ذلك .
وما تلك القبضة التي قبضها السامري من أثر الرسول : إلا تلبيس منه على الناس لإظهار أنه يملك في ذلك (سر الحياة) وليس الأمر كذلك ، بل هو الكذب والخديعة وليس في ذلك الأثر من أثر .
ونقل ابن كثير ما رواه ابن جرير وغيره عن ابن عباس أنه قال (لا والله ، ما كان خواره إلا أن يدخل الريح في دبره فيخرج من فيه ، فيسمع له صوت) .
قلت : والمعنى أن صوت خواره أشبه بصوت الباب إذا حرّكه الهواء بيسر ، فيخرج منه ما يشبه صوت خوار العجل .

وقال الله تعالى عن السامري **" فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي "**

روى ابن أبي حاتم وابن جرير عن السدي قال (قال موسى : يا رب إن هذا السامري أمرهم أن يتخذوا العجل ، أرأيت الروح من نفخها فيه ؟ قال الرب : أنا) .

وفي رواية راشد بن سعد ، قال موسى عليه السلام (يا رب فمن جعل فيه الروح ؟ قال : أنا ، قال : فأنت يا رب أضللتهم . قال : يا موسى يا رأس النبيين ، إني رأيت ذلك في قلوبهم ، فيسّرته لهم) رواه ابن جرير في التهذيب ، وابن أبي حاتم .

يصدّق ذلك قوله سبحانه **" قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً "**
وإذا ما قلنا - كما تقدم - أن ما ألقاه السامري مما في يده من القبضة على العجل ومن ثم صدور صوت الخوار من ذلك العجل : أن ذلك إنما حَدَثَ مرة واحدة فقط ثم لم يرجع ذلك الصوت مرة أخرى ، حتى لا تعظم فتنته على الناس .

فكذلك الدجال - لعنه الله - لم يتوافق توقيت أمر دعواه إحياء الموتى مع أمر الله إلا (مرة واحدة) وهي المرة التي أحيا الله فيها ذلك الرجل المؤمن ، حتى لا تعظم فتنته على الناس .

وتقدم أن ذلك ليس من الخوارق ، وإنما هو مما يوقعه الله تعالى في النفس : بشيء أنه سيكون (فيكون على ما أراده الله تعالى) .

وليس لأحد ممن تلاعبت به الشياطين : أن يدعي ذلك لنفسه ، إلا ما جاء به النص وصح عليه الدليل ، وكان لابد من القول به ، في توجيه الأدلة ، لتتوافق .

فلو أراد الدجال أن يعيد مخادعة الناس في ذلك مرة أخرى : لما استطاع
(كما سيأتي بالأدلة) لأن هذا الإحياء ليس منه ، وإنما هو من الله وحده جل وعلا .

فالحاصل من ذلك : أن اعتماد الدجال في تحديه الناس على إحياء الرجل : قائم على ما سيلقيه الله في روعه ونفسه ، وعلى ما يستعين به من الشياطين .

لذلك كان هذه هي أُولى مواجهاته مع أهل الإيمان : التي يعجز فيها عن إثبات دعواه إحياء الموتى ، ويكشف الله أمره ودجله .

بخلاف أهل الكفر : الذين بمجرد أن تتمثل الشياطين بصور من مات : يتسابقون إلى الإيمان به ، إذ ليس في قلوبهم إيمان يمنعهم من التكذيب بذلك .

وكل ذلك أراده الله تعالى : فتنة لعباده ، فإن الله تعالى يفتن عباده في حالة واحدة فقط خاصة ، لا تتكرر ، يميز الله تعالى بها بين : المؤمن ، والكافر ، والشاك .

وقد ذهب ابن حزم ، وغيره من أهل العلم ، كما سيأتي ، أن هذا النوع من الإحياء هو : ضرب من الحِيَل ، وأنه من السحر .

وهو ما أيدته رواية الإمام أحمد في المسند عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الدجال (ويبعث الله معه الشياطين تكلم الناس ومعه فتنة عظيمة ، يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس ، ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس لا يسلط على غيرها) .

فاستدل البعض من قوله صلى الله عليه وسلم (معه شياطين)
وقوله (فيما يرى الناس) أي : أن هذا في رأي العين فقط ، ليس له حقيقة
وإلا لما قال (فيما يرى الناس) وإنما يكتفي بقوله (فيأمر السماء فتمطر) .
وهو ما أكدته الرواية المتقدمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يرون السماء تمطر وهي لا تمطر)
وكذا قوله صلى الله عليه وسلم : في دعوى الدجال بإحياء الرجل المؤمن (ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس) .
(فيما يرى الناس) أي : أن هذا في رأي العين فقط ، وأن الدجال لم يقتله ويحييه حقيقة ، رأى الناس ذلك رأي العين فقط .
هذا مذهب بعض من أخذ بظاهر الحديث .

كما قال الله تعالى **" وسحروا أعين الناس "**
وقال تعالى **" يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى "**

وقد جاء في رواية نعيم بن حماد عن كعب أنه قال في الدجال (ثم يظهر السحر ويدعي النبوة ، فيفترق عنه الناس) .

جاء في الروايات : أن افتراق الناس عنه سيكون بعد دعوى إحيائه الرجل المؤمن فبعدما ينكشف أمره ، يفترق الناس عنه وتصرف الملائكة بعد ذلك وجهه إلى الشام .

ما ذكره ابن حزم من سحر الدجال

وما يقع من نحوه من أباطيل وحِيَل السحرة

ذكر ابن حزم - رحمه الله - في كتابه " الفصل في الملل " أمر الدجال وسحره قال رحمه الله (والعجائب المذكورة عنه : إنما جاءت بنقل الآحاد .

قال أبومحمد : وأما قولنا في هذا فهو من العجائب الظاهرة من الدجال إنما هي حِيَل من نحو : ما صنع سحرة فرعون ، ومن باب أعمال الحلاج ، وأصحاب العجائب .

يدل على ذلك حديث المغيرة بن شعبة إذ قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن معه نهر ماء وجبل خبز ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هو أهون على الله من ذلك)

وعن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم (من سمع من أمتي بالدجال فلينأ عنه ، فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يرى من الشبهات) .

قال أبومحمد : وبهذا تتآلف الأحاديث .
وقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث أن ما يظهر الدجال من نهر ماء ونار ، وقتل إنسان وإحيائه : أن هذا من حيله ، وكل ذلك وجوه : إذا طلبت : وجدت

فقد تحيّل ببعض الأجساد المعدنية ، إذا أذيب : أنه ماء .
وتحيّل بالنفط الكاذب : أنه نار .
ويقتل إنسان ، ويغطى آخر معه (مخبوء) فيظهر ، ليرى أنه قُتل ، ثم أُحيي .
كما فعل الحسين بن منصور الحلاج : في الجدي الأبلق .
وكما فعل الشريعي ، والنميري : بالبغلة .
وكما فعل زيروب : بالزرزور .
وأنا أدري : من يطعم الدجاج الزرنيخ (فيخدّر) ولا يشك في موتها ، ثم يُصب في حلوقها الزيت ، فتقوم صحاحاً .
وإنما كانت معجزة : لو أحيا عظاماً قد أَرِمت ، فيظهر نبات اللحم عليها .

فهذه كانت تكون معجزة ظاهرة ، لا شك فيها ، ولا يقدر غير نبي عليها ألبتة يظهرها الله عزوجل على يديه ، آية له .

وقد رأينا الدّبر : يلقى في الماء ، حتى لا يشك أحد أنها ميتة ، ثم كنّا نضعها للشمس فلا تلبث أن تقوم وتطير .
وقد بلغنا مثل ذلك في الذباب المسترخي في الماء : إذا ذُرّ عليه سحق الآجر الجديد

وآيات الأنبياء عليهم السلام : لا تكون من وراء حائط ، ولا في مكان بعينه ولا من تحت ستارة ، ولا تكون إلا بادية مكشوفة .

وقد فضحت أنا : حيلة أبي محمد المعروف (بالمحرّق) في الكلام المسموع بحضرته ، ولا يرى المتكلم ، وسُمت بعض أصحابه أن يسمعني ذلك في مكان آخر أو بحيث فضاء دون بنيان ، فامتنع من ذلك ، فظهرت الحيلة .

وإنما هي قصبة مثقوبة ، توضع وراء الحائط على شق خفي ، ويتكلم الذي طرّف القصبة على فِيه ، على حين غفلة ممن في المسجد (كلمات يسيرة : الكلمتين والثلاث ، لا أكثر من ذلك) .
فلا يشك من في البيت مع (المحرّق الملعون) في أن الكلام اندفع بحضرتهم وكان المتكلم في ذلك : محمد بن عبد الله الكاتب " صاحبه ") انتهى .

[الفِصَل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم 131/1] .

قوله رحمه الله (الدّبر) جماعة النحل والزنابير .

وقوله (سُمت) أي : ألزمت وكلفت .

وقوله (طرّف) أي : جعل طرف القصبة على فِيه .

ما جاء من الأباطيل والدعاوي

من نسبة هذا المذهب الفاسد لأهل السنة

وأعني بذلك تلك الدعوى : أن الدجال ينزل مطراً ، وينبت نباتاً ، وغير ذلك .
فإنه لم يتجرأ أحد في نسبة هذا المذهب الفاسد لأهل السنة : إلا بعض شرّاح الحديث من المتأخرين ، وهي نسبة لا أصل لها ، ولا مستند عليها ، إلا الظن .

ولا يعرف هذا المذهب إلا عن القاضي عياض ، فهو مذهبه ومن تبعه على ذلك .
غفر الله لنا ولهم .

وليس في كتب أهل السنة تقرير لشيء من ذلك : لا في أقوال الصحابة ، ولا السلف ولا التابعين ، ولا من جاء من بعدهم من أئمة الحديث .

وأما ما روي في كتبهم من الأحاديث الضعيفة عن فتنة الدجال (مما نُسب إلى الدجال من تلك الصفات) .
فهو من رواية التدوين : التي تُكتب للاعتبار فقط ، دون الاحتجاج بها .

كما في نصوص كلام العلماء عن الرواة : ممن لم يقع الاحتجاج بأحاديثهم وتوصيفهم بذلك ، وقولهم عن الراوي (يكتب حديثه ، ولا يحتج به) .

ولو ثبت بأن أحداً قال بذلك ، فإن قوله هذا يكون مردوداً عليه ، ويكون من الاجتهاد الذي يرد على صاحبه ، ولا تُنسب مثل هذه العقائد الفاسدة لجموع أهل السنة .

وقد نص ابن حبان ، وابن حزم ، والطحاوي ، وغيرهم ، رحمهم الله أجمعين
على أن الدجال : لا حقيقة لما يظهره من الآيات ، ولا من خوارق العادات
وإنما هي دعاوي مخلوطة بالحيل ، وضرب من السحر ، والشيطنة ، والأباطيل التي لا حقيقة لها .

نقل ابن حجر في " الفتح " ما ذهب إليه ابن حبان عند شرح حديث المغيرة بن شعبة في قول النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال (هو أهون على الله من ذلك)

قال رحمه الله (ويحتمل أن يكون قوله " هو أهون " أي لا يجعل له ذلك حقيقة وإنما هو تخييل وتشبيه على الأبصار ، فيثبت المؤمن ، ويزل الكافر
ومال ابن حبان في صحيحه إلى الآخر، فقال : هذا لا يضاد خبر أبي مسعود بل معناه أنه أهون على الله من أن يكون معه نهر ماء يجري ، فإن الذي معه يُرى أنه ماء ، وليس بماء) [فتح الباري - كتاب الفتن 13/ 96] .

ونقل ابن كثير ، **في "النهاية في الفتن والملاحم "** عند حديث المغيرة المتقدم

قال رحمه الله (وقد تقدم حديث حذيفة وغيره ، أن ماءه نار ، وناره ماء بارد وإنما ذلك في رأي العين ، وقد تمسّك بهذا الحديث طائفة من العلماء : **كابن حزم والطحاوي** ، **وغيرهما** ، في أن الدجال ممخرق ، مموّه ، لا حقيقة لما يبدي للناس من الأمور التي يشاهدونها في زمانه ، بل كلها خيالات) [النهاية في الفتن والملاحم ص 82] .

وأما قول القاضي عياض (من أن الدجال لم يدّعِ النبوة حتى يشتبه ما يأتي به بما يأتي به النبي من الخوارق ، وإنما ادعى الإلهية)

ثم قوله : أن الله قد جعل فيه من النقص ما يدل على كذبه .

فأقول : إذا كان ادّعاء النبوة ، والإتيان بدلائلها : من الآيات ، والوحي : ممتنعاً عند هؤلاء ، ومحال الوقوع في حق الدجال ، لتقرير كفره ؟!

فكيف بادّعاء الإلهية ، والإتيان بدلائلها : من إنزال المطر ، وإنبات النبات وإحياء الأموات ، وغيرذلك ؟!
أو الادعاء أنه هو الله - تعالى الله وتقدس - والإتيان بالدلائل على ذلك ؟!

أما دعواه أن الدجال لم يدّعِ النبوة : فهي مردودة بما رواه ابن ماجة وأبوداود من حديث أبي أمامة الباهلي ، من قول النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال عن الدجال (إنه يبدأ ، فيقول : أنا نبي ، ولا نبي بعدي ، ثم يثني ، فيقول : أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا) .

ومن المعلوم أن ابتداء دعواه للنبوة لن يتجرّد من الدلائل ، إذ سوف يدعي أنه يبرئ الأكمه والأبرص ، كما يفعل نبي الله عيسى .

فإذا كان على تلك الدعوى من النبوة ، ثم الربوبية ، ودعوى الإتيان بدلائلها .
وأنه يفعل ما يفعله نبي الله المسيح عيسى بن مريم .
وزعمه أنه هو المسيح عيسى الذي يبرئ الأكمه والأبرص .
وأنه المنتظر الذي سيعود وينتصر لأتباعه (وهو المسيح الدجال لعنه الله) .
فليس بمستغرب أن يجعل الله مقتله على يد نبي الله المسيح عيسى بن مريم (فيقتل مسيح الهدى مسيح الضلالة) .

وإنما ابتدأ الدجال دعوى النبوة قبل دعوى الربوبية ، لكي لا تحصل النفرة منه وليهيئ للناس قبولهم للكفر الأعظم : وهو دعواه الربوبية .

أما قوله : أن الله قد جعل في الدجال ما يدل على كذبه : من النقص والعور وما وُسِمِ بين عينيه : من ظهور كلمة الكفر .

فأقول : مثل هذه الكلام مردود على قائله ، فإن الله تعالى قد جعل تلك العلامة من وسم كلمة الكفر بين عيني الدجال : ظاهرة للمؤمن دون الكافر ، فهي خاصة بالمؤمن ، يراها المؤمن فقط ، دون الكافر .
(وحجة الله : تعم الكافر والمؤمن) .
فهي ليست دليلاً على كذب الدجال - عند الكافر - لأنها منعدمة ، وغير ظاهرة .

وبما أن أهل الكفر هم غالبية أهل الأرض ، كما قال تعالى **" فأبى أكثر الناس إلا كفورا "**
وأهل الإيمان فيهم : كالشعرة البيضاء في الثور الأسود ، كما جاء في الحديث .

فمن كمال عدل الله أن يظهر تلك الآية للجميع : إذا أراد سبحانه أن يجعل ذلك دليلاً على كذب الدجال .

فإذا لم يظهرها الله : دل ذلك على أنها رحمة من الله لأهل الإيمان فقط ، دون أهل الكفر ، وأنها ليست دليلاً على كذب الدجال ، بل الدليل : هو ظهور دجله ، وما هو عليه من أمر السحر ، وامتناع وقوع دعواه عقيدة ، وشرعاً ، وعقلاً ، وواقعاً .

أما النقص والعور : فإن مزاعم الدجال التي يزعمها (من إنزال المطر ، وإنبات النبات ، وإحياء الأموات ، وما يقع من سحره على أعين الناس) .
يطغى ويعلو على ذلك النقص والعيب .
فتلك الأمور (التي يذهل منها العقل) تعلو على نقص البشرية .

والله سبحانه يهلك الكافر بعدله ، وينجي المؤمن برحمته .
فلا يمكن أن يعلو دليل الكفر : على دليل الإيمان ، ودليل البطلان .
وهذا ما يستلزمه مثل هذا الكلام .

درء قوله أن الله يهيئ ذلك كله من باب الفتنة

وبيان أن الله تعالى لا يمكن أن يفتن عباده بأمر الربوبية

وأما القول : بأن ذلك كله يقع من باب الفتنة التي أرادها الله تعالى
فهو قول لا يسعف القائلين به .
فإن الله تعالى لا يفتن عباده بأمر الربوبية ، ولا في دلائل الربوبية .
فالله سبحانه لم يُعبد : إلا بالربوبية ، وحجته على عباده : إنما قامت بدلائل الربوبية (من خلق ، ورزق ، وإحياء الموتى ، وغيره) .
فكيف يفتن عباده بدلائل الربوبية **؟!**
هذا لا يكون أبداً .
هذا فيه نسبة الظلم إلى الله تعالى ، والظلم على الله محال .

قال الله تعالى **" الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون "**

فإذا كان فعل ذلك من (من الخلق ، والرزق ، وإحياء الموتى) في حق غير الله محال الوقوع كما في قوله تعالى **" هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء "**

فإن الابتلاء في ذلك ، والفتنة فيه أيضاً : محال الوقوع .

لأن الله تعالى لم يُعبد إلا بالربوبية ، وبهذه الدلائل من الربوبية ، فلا يمكن أن يفتن عباده - سواء كانوا كفاراً ، أو مؤمنين - لا يمكن أن يفتنهم بما فيه حجته عليهم .

بيان تناقض فهمه في مسمى الدجال وما يترتّب عليه من إلزامات

وسواء ادعى الدجال الربوبية ، أو ادعى أنه هو الله ، أو لم يدّعِ .
فإن من المحال : أن يؤيّد الله تعالى ذلك الدجال : بالدلائل والبراهين على دعواه تلك

لذا سمي الدجال - كما جاء في الأحاديث - بالأعور الكذاب ، وبالمسيح الدجال
فهو كذاب دجال : في ما يدعيه ، ويفعله .
أما أن يُقال : هو كذاب في ما يدعيه ، صادق في ما يفعله !
فهذا تناقض في الفهم ، والفكر ، والعقل .
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الدجال) رواه أحمد .
وفي حديث جابر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (بين يدي الساعة كذابون منهم صاحب اليمامة ، ومنهم صاحب صنعاء العنسي ، ومنهم صاحب حمير ومنهم الدجال وهو أعظمهم فتنة) رواه أحمد .
وهؤلاء الدجاجلة منهم من يدعي الربوبية ، ومنهم من يدعي النبوة .
والرب : هو الذي يحيي ويميت ، وينزل المطر، ويأتي بدلائل الربوبية .
والنبي : هو الذي يوحى إليه من عند الله ، ويأتي بدلائل النبوة من الآيات .

فهل يصح أن يقال : بأن هؤلاء الدجاجلة الذين ادعوا النبوة : كمسيلمة ، وأمثاله هم كاذبون في دعواهم للنبوة ، صادقون في ما يأتون به من الآيات ، والوحي ؟!
وذلك أن النبي : هو الذي يأتي بالدلائل والآيات ، ويوحى إليه من عند الله .

فإذا كان هذا الفهم مرفوضاً في أمر النبوة . فكيف بأمر الربوبية الذي هو أعظم ؟!
كيف يوصف الدجال بأنه كاذب في دعواه للربوبية ، صادق في ما يأتي به من الآيات ودلائل الربوبية ؟! هذا - كما تقدم - من التناقض في الفهم ، والفكر ، والعقل

وإذا قبلنا أن نفهم معنى (الدجل) بمثل هذه الفهم : في الربوبية .
فلا بد أن نقبله أيضاً : بمثل هذا الفهم : في دجل النبوة !!
وقد أشرك النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الدجاجلة بحديث واحد بقوله صلى الله عليه وسلم (كذابون : منهم صاحب اليمامة ..، ومنهم الدجال وهو أعظمهم فتنة) .

فصل

في بيان ضعف حديث الدجال
الذي يرويه النواس بن سمعان
وبيان نكارته ومصادمته لأصول الإيمان
ومخالفته للأحاديث الكثيرة عن فتنة الدجال

وأما الاستدلال بحديث النواس بن سمعان ، الذي عند مسلم ، وهو من طريق يحيى بن جابر الطائي عن عبدالرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن النواس بن سمعان

وما وقع من الوهم والاختلاط في كلام الراوي ، بما جاء في الرواية ، من قوله عن الدجال ، قال (فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت) .

فهذا لا شك أنه من منكرات الرواية ، التي رواها عبدالرحمن بن جبير بن نفير الذي استنكر روايته أهل العلم .
فقد قال ابن سعد : عن عبدالرحمن بن جبير (بعض الناس يستنكر حديثه) .

وهذه الألفاظ التي أتى بها في حديث الدجال : لا شك أنها من منكراته .
كيف لا تكون من منكراته ، وهو يصف أكبر طواغيت الأرض بصفات الربوبية ؟!
هذا معنى قول ابن سعد (بعض الناس يستنكر حديثه)
أي أن من العلماء من ينكر رواية عبدالرحمن بن جبير .

قلت : بل كبار أئمة الحديث لم يوثق عبدالرحمن بن جبير .
فلم يوثقه (البخاري ، ولا أبو حاتم ، ولا أحمد ، ولا يحيى بن معين ، ولم يوثقه ابن المديني ، ولا ابن القطان ، ولا ابن مهدي ، ولا غيرهم) .

أما البخاري : فلم يحتج بحديث عبدالرحمن بن جبير ، ولم يروِ له رواية واحدة في كتابه الصحيح ، وإنما روى له فقط (في الأدب المفرد)
مما يدل ذلك على عدم الاحتجاج به .

أما أبو حاتم : فقد وصف عبدالرحمن بن جبير بوصف : من لا يحتج بحديثه حيث قال عنه (صالح الحديث)
وصالح الحديث : هو الذي يُكتب حديثه ، ولا يحتج به .

وكذا جاء وصف أبي حاتم ليحيى بن جابر الذي حدث عن عبدالرحمن بن جبير فقد وصف أبو حاتم (يحيى) بوصف : من لا يحتج بحديثه .

ثانياً : أن القاعدة الحديثية تنص على أن (الجرح مقدّم على التعديل)
والجرح هنا مقدم على التعديل : إذا كان جرحاً مفسّراً .
فكيف إذا اقترن فيه ما يتضمنه من معضلة فساد الإيمان ومصادمته ؟!

والقاعدة التي لا يُصان بها جانب الربوبية ومقام الألوهية ، ولا يُعمل بها في مثل هذا المقام : لا قيمة لها ، ولا للعمل بها .

ثالثاً : أن الجرأة على وصف الراوي بالخطأ : أهون من الجرأة على إفساد الدين واللعب بعقائد المسلمين ، ونسبة ما اختص به سبحانه : من أفعال ودلائل الربوبية إلى الطواغيت ، والملاعين .

رابعاً : أن التكلّف ، والاستماتة : على تصحيح حديث مثل هذا ، وإنعاشه
(بعد العلم بما يظهر في مضمونه من مصادمته لأصل الإيمان)
يُعد من السّفه ، وضعف العقل ، وقلة الدين ، وضحالة العلم .
فأهل العلم : يُعرضون عن أحاديث هي (أدنى ، وأقل أمراً : من هذا الحديث)
إن كانت تعارض مسلمات في الدين ، أو كان في النفس منها شيء ، أو كانت مخالفة لأحاديث أُخر ، فكيف بهذه الرواية : التي هي أعظم شراً وبليّة ؟!

خامساً : أن التكلّف بالطعن بعدالة الرواة أو ضبطهم - من غير افتراء - بما يوجب رد ما جاؤوا به من منكرات الرواية - أمر مطلوب .

وليس ذات الراوي ، وصفته ، أعظم من الله تعالى ، وربوبيته ، وصفاته .

إلزام لمن صحّح حديث النواس

يكفي لبطلان الحديث وضعفه

وهنا سؤال : يلزم به من صحّح الألفاظ المنكرة : التي جاءت في حديث النواس

ما هي عقيدتكم بالله في مثل هذا الكلام قبل بلوغ هذا الحديث إليكم عن فتنة الدجال ؟

الجواب عندهم بلا شك : أن ذلك كُفر بالله (إن كانوا بذلك مؤمنين بالله)
لما في مضمون هذا الكلام : من الكفر بالله ، ونسبة أفعال الربوبية لغيره سبحانه .

إذاً : الحامل عندهم على قبول مثل هذا القول : هو التشبث بهذا الحديث الضعيف .

قلت : لقد نص العلماء : على أن الحديث إذا كان ظاهره الصحة ، ثم جاء يعارض أصلاً من أصول الإيمان ، أو أصول الشريعة ، ثم لم يُمكن الجمع بينه وبين هذا الأصل : فإن هذا الحديث يُرد ، ولا يُلتفت إليه : مراعاة لهذا الأصل .
فكيف بالحديث الضعيف **؟!**

ومن سعى إلى الجمع هنا : بينه وبين أصل الإيمان : فهو كمن يسعى للجمع بين الضلال والهدى ، والظلمات والنور ، وأنّى له ذلك .

ومن قال بأن الله : قد أعطى الدجال ما أعطى لنبيه عيسى : فقد كذب على الله وافترى ، وتكلّم بالظن وما لا علم له به **" وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً "**

وتقدم الرد على مثل هذا الهذيان والادعاء الباطل الكاذب .

كلام غاية في الأهمية

في سبب إيراد الإمام مسلم

لبعض الزيادات المنكرة أو الشاذة في صحيحه

وعليه أورد حديث النواس

لا يخفى على من كان عالماً بنهج الإمام مسلم ، وطريقته الحديثية : التي سلكها في كتابه الصحيح : أنه يروي الأحاديث على طبقتين ، أو ثلاث : طبقة الحفاظ المتقنين وطبقة المستورين والمتكلّم فيهم : ممن ليسوا هم من أهل الحفظ والإتقان .
وذكره هنا لهذه الطبقة من باب التمييز .

فهو يستأنف ذكر الباب في صحيحه بالأحاديث الصحاح : التي يرويها عامة الحفاظ الأثبات ، ثم يتبعها بعد ذلك بحديث غيرهم : ممن روى ذلك ، وشذ عنهم .
وهو من التمييز(أي من باب معرفة العلة) لأن مسلماً يسمي العلل تمييزاً يميّز بها بين الأحاديث بجمع الطرق .
وقد ذكر ذلك في مقدمة صحيحه ، وفعل هذا في كتابه " التمييز "
كما سيأتي ذكر نص كلامه - بمشيئة الله - في آخر الرسالة ، عند ذكر فصل (بيان قبول التوبة في زمن الدجال) .

فإذا كان هناك من الروايات ما يقع في متنها : زيادة ، أو نكارة ، أو شذوذ في اللفظ فإنه يورد ذلك اللفظ والإسناد في نفس الباب ، لأجل : بيان العلة .

وقد فعل ذلك بحديث النواس بن سمعان ، عندما أورد الحديث وأخرجه في باب (ذكر الدجال وصفته) .
فاستأنف الباب بذكر جملة من الأحاديث عن الصحابة (كابن عمر ، وأنس بن مالك وحذيفة ، وأبي مسعود الأنصاري ، وأبي هريرة ، وغيرهم)
في الدجال وفتنته ، وما جاء به من فتنة (الماء ، والنار)

وما ورد في صفته (من النقص ، والعيب ، والعور)

ثم روى ما وقع من الزيادة والنكارة في حديث النواس وألفاظه ، والتي لم تأتِ في رواية من تقدم من أحاديث الصحابة : حين رووا حديث الدجال وصفته .

فاستهل ذكر رواية النواس بما جاء بقول الراوي عن صفة الدجال (إنه شاب قطط عينه طافئة) وهو ما نص عليه الصحابة في ذكر النقص والعيب في عين الدجال

ثم أورد روايته الطويلة التي لم تُذكر ألفاظها في رواية سائر الصحابة
من باب التمييز - كما تقدم - وبيان العلة .

بل قد نصت أحاديث الصحابة على فتنة (الماء ، والنار) التي يأتي بها الدجال بينما لا نجد ذلك منصوصاً عليه في رواية النواس .

وكذا ما مع الدجال من فتنة الشياطين ، التي جاءت في رواية أسماء بنت يزيد ورواية أبي أمامة الباهلي ، والذي لم يأتي منصوصاً عليها في رواية النواس .

وكذا التصريح الذي جاء في رواية أبي أمامة ، والذي وقع فيه النص : أن الذي يحيي الرجل المؤمن ويبعثه هو الله سبحانه ، وليس الدجال
والذي لم يأتِ نصه في رواية النواس .

كل ذلك يدل على السقط ، والزيادة ، والوهم : الذي دخل في رواية النواس
والذي الأظهر فيه : أنه من منكرات عبدالرحمن بن جبير .
أو يكون من وهم وخطأ النواس بن سمعان ذاته ، رضي الله عنه .

قال عبدالله بن المبارك (من يسلم من الوهم ؟ وقد وَهّمت عائشة جماعة من الصحابة في رواياتهم للحديث) .

وقال ابن رجب (وَهّم سعيد بن المسيب ابن عباس في قوله : إن النبي تزوج ميمونة وهو محرم) [شرح علل الترمذي] .

على كل حال : هناك أحاديث انتقدها جهابذة أهل العلم : كالدارقطني ، وغيره .
على صحيحي البخاري ومسلم (نحواً من 210 من الأحاديث) .
فمنها : ما هو معلول في إسناده .
ومنها : ما هو معلول في متنه .
أو في بعض ألفاظ المتن .
فلفظها شاذ ، أو منكر ، بحسب رواية الراوي ، ومخالفته للثقات .

وهذا الأمر ظاهر عند العلماء ، لا ينكره إلا جاهل .

فليس كل ما في صحيح مسلم من (كَلِم ، أو حرف) هو قرآن ، منزّل ، محفوظ

مع كونهما (وهما صحيحا البخاري ومسلم) أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى .

ما جاء من الاختلاف في ألفاظ الرواة
مخالفة لما جاء في رواية النواس

وهذه الأجزاء المذكورة في رواية النواس بن سمعان ، وما فيها من نكارة الألفاظ في قول الراوي عن الدجال (يأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت) .

قد رواها أيضاً بعض الصحابة - غير النواس - ولم يأتِ فيها ذكر تلك الألفاظ المنكرة التي جاءت في رواية النواس .

فمن ذلك ما روي بإسناد صحيح ، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الدجال (أكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب ، **يرون السماء تمطر وهي لا تمطر ، والأرض تنبت وهي لا تنبت** ، ويقول للأعراب : ما تبغون مني ؟ ألم أرسل السماء عليكم مدراراً وأحيي لكم أنعامكم شاخصة ذراها ، خارجة خواصرها ، دارّة ألبانها ؟
وتبعث معه الشياطين على صورة من مات من الآباء والإخوان والمعارف ، فيأتي أحدهم إلى أبيه وأخيه وذي رحمه ، فيقول : ألست فلاناً ؟ ألست تعرفني ؟ هو ربك فاتبعه) رواه الطبراني ، وعبدالله بن الإمام أحمد في " السنة " بإسناد صحيح .

فتأمل قوله صلى الله عليه وسلم (يرون السماء تمطر وهي لا تمطر ، والأرض تنبت وهي لا تنبت) .

وهو أيضاً ما أيدته رواية جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - التي في مسند أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس ، ومعه فتنة عظيمة ، يأمر السماء فتمطر **فيما يرى الناس** ، ويقتل نفساً ثم يحييها **فيما يرى الناس**) رواه أحمد والحاكم بإسناد صحيح .

تأمل قوله صلى الله عليه وسلم (يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس) .

قوله (فيما يرى الناس) أي أن هذا في رأي العين فقط ، دون أن يكون له حقيقة

يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين (وإن الدجال يخرج ، وإن معه ماء وناراً ، فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق ، وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب ، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب) .

وقوله صلى الله عليه وسلم (نهران : أحدهما نار تأجج **في عين من رآه** ، والآخر ماء أبيض) رواه الحاكم بإسناد صحيح .

فقوله صلى الله عليه وسلم (في عين من رآه) أي أن ذلك في رؤيا العين فقط .

تباين ألفاظ الرواة وما فيه من الدلالة على ذلك الوهم والاختلاط مما ليس بمستبعد أن يحصل في خطبة طويلة خطبها النبي عن أشراط الساعة تتجاوز عباراتها العدة الصفحات والذي لا يمكن ضبط ألفاظها إلا بالنسخ المباشر بين النبي والصحابي

ومما تقدم من هذا الاضطراب في ألفاظ الروايات يدل على ذلك الوهم عند الرواة واختلاطهم ، وعدم ضبطهم لمثل هذا الحديث الطويل ، وما فيه من أمور عظام يذهل منها العقل ، عن أشراط الساعة ، والدجال ، ونزول نبي الله عيسى ، وخروج يأجوج ومأجوج ، والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر (كما جاء في رواية أبي أمامة التي رواها ابن ماجة وأبو داود وغيرهم) .
فهي خطبة طويلة ، لو كتبت لتجاوزت عدة صفحات ، والصحابي يسمع رسول الله عن بُعد ، فإنه ليس لأحد أن يكون متقناً لسماع ذلك كله ، ونقله .
ولو أحسن أحدهم النقل : لم يحسن ضبط كل ما جاء في الحديث من لفظ ، وغيره إلا أن يكون رسول الله قد أملى تلك الخطبة على الصحابي إملاءً ، فكتبها الصحابي عن رسول الله ، ووثقها ، وأخذها شفاهةً ، وليس الأمر ، ولا الحال كذلك .

فرواية النواس جاء لفظها (يأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت) .

ورواية أسماء جاء لفظها (يرون السماء تمطر وهي لا تمطر ، والأرض تنبت وهي لا تنبت) بالنفي الكلي المطلق : عن إنزال المطر ، وإنبات النبات .

ورواية جنادة - التي في المسند عند أحمد - عن بعض أصحاب النبي جاء لفظها (وإنه يمطر المطر ، ولا ينبت الشجر) بالنفي الجزئي : عن إنبات شيء من النبات

ورواية جابر بن عبدالله جاء لفظها (يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس) .
أي أن هذا في رأي العين فقط ، لا حقيقة له .
فكل هذا التباين في الألفاظ ، والاختلاف : يدل على اضطراب الرواة ، وعدم ضبطهم لألفاظ الحديث ، فكيف يقع الميل إلى لفظ من هذه الألفاظ دون الآخر **؟!**
فمثل هذه الألفاظ لا تصلح أن تكون حجة في باب الأحكام ، والحلال ، والحرام فكيف تكون حجة يُصادم فيها حقائق الإيمان **؟!**

ما جاء في الصحاح من أن التوبة باقية في زمن الدجال
وأنها لا تنقطع حتى تخرج الشمس من مغربها
والرد على من استدل برواية مسلم على خلاف ذلك

قد تواترت النصوص من الآيات والأحاديث عن نبينا صلى الله عليه وسلم في بقاء التوبة إلى قيام الساعة ، وأنها لا تنقطع إلا بغرغرة الروح ، أو الايذان بحلول عذاب الله على العباد ، عافانا الله من ذلك .

قال الله تعالى **" وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً "**

وقال تعالى **" فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يَكُ ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا "** الآية .

وقال تعالى **" هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً "** الآية .

" تأتيهم الملائكة " أي عند الموت ، وانكشاف الغيب .
" أو يأتي ربك " يوم القيامة ، للحساب والجزاء .
" أو يأتي بعض آيات ربك " عند طلوع الشمس من مغربها ، وقرب حلول العذاب

وقد تواترت الأحاديث في الصحيحين ، وغيرهما ، عن نبينا صلى الله عليه وسلم في أن التوبة باقية ، لا تنقطع حتى تخرج الشمس من مغربها .

فقد روى البخاري في الصحيح من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها ، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل) أخرجه الجماعة ، إلا الترمذي .

وروى البخاري من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس ، آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها) ثم قرأ الآية .

وكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبدالرزاق عن معمر عن همام ، عن أبي هريرة .
وانفرد مسلم بإخراجه من طريق العلاء بن عبدالرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة .

ورواه مسلم من طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه) .

وقد روى الحديث أيضاً جمع من الصحابة : كأبي ذر الغفاري ، وأبي سعيد الخدري وعبدالله بن مسعود ، وابن عباس ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وأبي موسى الأشعري ، وحذيفة بن اليمان ، وعبدالله بن أبي أوفى وصفوان بن عسال ، وغيرهم - رضي الله عنهم - جميعاً ، بألفاظ متقاربة في تقرير دوام التوبة ، وأنها لا تنقطع حتى تطلع الشمس من مغربها .

وأما ما أورده البعض من رواية مسلم التي أخرجها من طريق فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض) .

فهذه الرواية بهذا اللفظ : منكرة ، شاذة ، لا تصح إذ قد زادها أبي حازم الأشجعي على الثقات الحفاظ : الذين رووا حديث أبي هريرة كأبي زرعة ، وهمام بن منبه وعبدالرحمن بن يعقوب ، ومحمد بن سيرين . وغيرهم ، الذين أخذوا حديث أبي هريرة ، ولم ينصوا على تلك الزيادة المنكرة .

بل قد خالف في ذلك أحاديث سائر الصحابة الذين تقدم ذكرهم ، والذين رووا عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث ، ولم ينصوا على تلك الزيادة .

بل قد خالفت هذه الرواية أيضاً : ما روي في ذلك عن أبي حازم نفسه ، وهي في المسند عند أحمد : عندما رواها بلفظ (الدخان) وليس (الدجال) .

فقد أخرج أحمد في مسنده من طريق وكيع عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، ودابة الأرض) .

وقد ذكر بعض العلماء أن ذكر (الدجال) في الرواية : تصحيف .
والصواب : أنه (الدخان) كما في الرواية السابقة .
فلفظة (الدجال) في الرواية محرّفة ، من (الدخان) وقد تشابهت الألفاظ .

قال القرطبي في " المفهم " (فدل على أن ذكر الدجال مع الطلوع : وَهمٌ ، من بعض الرواة) [المفهم 85/23] .

وقد أجيب أيضاً عن الرواية (ثلاث إذا خرجن) أي كلهن ، وآخرهن طلوع الشمس من مغربها ، فإذا حصل ذلك : لا ينفع نفساً إيمانها .
على كل حال : الرواية منكرة ، لا تصح بهذا اللفظ ، لما تقدم
وهو يغنينا عن الخوض في باب التوجيهات هنا .

ثانياً : قد تقدم أن الإمام مسلم يورد الأحاديث في صحيحه : على طبقتين أو ثلاث طبقة الحفاظ المتقنين ، وطبقة المستورين والمتكلم فيهم .
ويستأنف ذكر الباب بالأحاديث الصحاح : التي يرويها عامة الحفاظ ، ثم يورد حديث غيرهم ممن روى ذلك ، وشذ عنهم ، كما في هذا الحديث ، وغيره .
وهذا كله من باب التمييز (أي من باب معرفة العلة)
لأن مسلماً يسمي العلل تمييزاً : يميّز بها بين الأحاديث : بجمع الطرق

كما ذكر ذلك في مقدمة صحيحه ، وفعل هذا في كتابه " التمييز" .

قال مسلم - رحمه الله - في مقدمة الصحيح (وعلامة المنكر في حديث المحدث إذا ما عُرضت روايته للحديث على رواية غيره من أهل الحفظ والرضا ، خالفت روايته روايتهم) .

وقال رحمه الله ، في " التمييز " (والجهة الأخرى : أن يروي نفر من حفاظ الناس حديثاً عن مثل : الزهري ، أو غيره من الأئمة بإسناد واحد ومتن واحد ، مجتمعون على روايته في الإسناد والمتن ، لا يختلفون فيه في معنى ، فيرويه آخر سواهم عمّن حدّث عنه النفر الذين وصفناهم بعينه ، فيخالفهم في الإسناد ، أو يقلب المتن فيجعله بخلاف ما حكى من وصفنا من الحفاظ ، فيُعلم حينئذ أن الصحيح في الروايتين ما حدّث الجماعة من الحفاظ ، دون الواحد المنفرد ، وإن كان حافظاً .
على هذا المذهب رأينا أهل العلم بالحديث يحكمون في الحديث ، مثل : شعبة وسفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد ، وعبدالرحمن بن مهدي ، وغيرهم من أهل العلم) [التمييز ص 90] .

ثالثاً : أن مما يدل على أن التوبة باقية لا تنقطع في زمن الدجال : أن نزول عيسى عليه السلام سوف يكون بعد خروج الدجال ، وهذا يدل على بقاء التوبة في ذلك الوقت ، لأن عيسى عليه السلام سوف يدعو الناس إلى الإسلام ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه ذكر عيسى بن مريم فقال (وإنه نازل ..، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الإسلام) رواه أبوداود وأحمد .

وهذا فيه دلالة على قبول التوبة في ذلك الوقت ، لأن عيسى عليه السلام سوف يدعو إلى الإسلام ، فلو كان باب التوبة مغلقاً ، والإيمان غير نافع ، لما دعاهم إلى الإسلام ، لعدم انتفاعهم بإسلامهم .

وقد أثبت الله في كتابه : قبول التوبة ، وذلك الإيمان : بنبي الله عيسى عليه السلام عند نزوله ، وقبل موته ، وذلك بقوله تعالى **" وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً "**

وقد نص عامة أهل التفسير : على رجوع الضمير هنا في الآية **" ليؤمنن به قبل موته "** على عيسى عليه السلام ، أي قبل موت عيسى .
وروي ذلك عن أبي هريرة ، وابن عباس ، والحسن البصري ، وقتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، واختاره ابن جرير ، وابن كثير ، وغيرهم .
وهذا فيه دليل على أن الإيمان سوف ينتفع فيه أهله في ذلك الوقت .
وقد دلت الآيات على هذا المعنى : من رجوع الضمير إلى عيسى عليه السلام .
قال تعالى**" وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً * وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً "**
فقوله (وما قتلوه) (وما صلبوه) (ولكن شبه لهم) (اختلفوا فيه) (لفي شك منه) (ما لهم به من علم) (وما قتلوه) (بل رفعه الله) .
كل هذه الضمائر راجعة إلى عيسى عليه السلام ، ولما عطف عليها : من قوله تعالى **" وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته "**
وجب أن يكون الضمير عائداً إلى عيسى عليه السلام ، حتى تنسجم الضمائر .
ومما يقوي رجوع الضمير إلى عيسى في الآية : أن الأصل في الضمير عوده على مفسر مذكور ، وليس في الآية ذكر للكتابي ، أو غيره ، وإنما المذكور عيسى
ثم إن قوله تعالى **" وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته "**
هذا أمر لازم ، فإن الله تعالى لم يكن ليذكر أمر رفع نبيه عيسى ، ثم لا يشير إلى أمر نزوله ، ومن ثم موته ، وهذا فيه دليل قطعي على إثبات نزول عيسى ، ثم موته حتى لو لم تنص الأحاديث على ذلك ، فكيف إذا نصت ؟!
وذلك أن عيسى عليه السلام قد رُفع بجسده وروحه ، فهو لم يمت ، لأن الموت هو مفارقة الروح الجسد ، وقد كتب الله الموت على كل نفس **" كل نفس ذائقة الموت "**
وكتب الله تعالى أن الموت موطنه الأرض ، والجسد مرجعه إلى الأرض .
قال تعالى **" منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى "**
فكان لابد من ذلك النزول حتى يتم ذلك الموت ، وتتحقق سنة الله تعالى في عباده وهو ما أشار الله إليه في الآية **" ليؤمنن به قبل موته "**

رابعاً : ومما يدل كذلك على قبول التوبة في وقت خروج الدجال : ما روي في ذلك من الأحاديث من أن المسلمين يقاتلون الكفار في زمن الدجال ، وزمن نزول نبي الله عيسى عليه السلام ، وقد جاء ما يفيد بأن التوبة لا تنقطع ما دام المسلمون يقاتلون الكفار ، وقتال الكفار : يتقدمه الهجرة ، والمفارقة ، والمفاصلة .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) رواه أبوداود .
وفي رواية أحمد ، جاء قوله صلى الله عليه وسلم (لا تنقطع الهجرة ، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها) .

خامساً : وهو ما أود أن أختم به هنا : من القول بأنه لا ينبغي لأحد أن يكون سبباً في هلاك نفسه ، أو غيره من العباد : إذا عمد إلى الأخذ بما لا يصح من الروايات الشاذة ، وكان سبباً في إبعاد الناس عن ربهم ، وإغلاق باب التوبة عليهم ، وتقنيطهم من رحمة الله ، وهذا من الكبائر .

ولا يغيب عنا في ذلك : ما روي في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ، ثم ذهب إلى راهب فسأل هل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله ، فأكمل به مئة ، ثم ذهب إلى عالم ، فسأل هل له من توبة : فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ، الحديث .

وكيف كان هذا الراهب سبباً في هلاك نفسه وقتلها ، وكاد أن يهلك غيره لهذا الجهل : الذي لم يفهم فيه أمر الله وحكمه .

وكذا الأمر : فيمن يريد أن يغلق باب التوبة على العباد في زمن خروج الدجال ويقنطهم من رحمة الله ، إذا أخذ بما شذ من الأحاديث ، وجعلها أصل ، وأبعد الناس وردّهم عن طريق الإيمان ، إلى ملة الكفر ، ومن ثم اتباعهم للدجال ، فإن هذا عليه من الوزر العظيم ، ما الله به عليم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .